جيبال
Jibal
environmental & social justice

بتمويل
HEINRICH BÖLL STIFTUNG
بيروت
الشرق الأوسط

الزراعة البيئيّة في لبنان:

تحليل الواقع الراهن والبحث في فرص تطويره

المؤلفون
يارا ورد
أنجيلا سعادة
رنا حسن

محرر
هيذر كايد
تصميم
دايدريم ش.م.ل.

تشرين الثاني ٢٠٢٢

حول جبال

جبال هي منظمة غير ربحية تأسست في بيروت عام ٢٠١٧ ، بموافقة حكومية نهائية في يناير ٢٠١٩. وهي تُروّج وتُعزز العدالة الاجتماعية والبيئية - أو التوزيع العادل والمنصف للمنافع والأعباء البيئية والاجتماعية- في لبنان من خلال التعاون الجماعي، المعرفة المفتوحة والمتاحة والمبادئ التجديدية.

يربُط عمل جبال بين المنظورات الاجتماعية والثقافية والبيئية لتعزيز نهج شامل للتنمية المجتمعية.

يشد عمل جبال الوِثاق بين المنظورات الاجتماعية والثقافية والبيئية لتعزيز نهج شامل للتنمية المجتمعية.

يعزز الاستدامة من جميع جوانبها - في البيئات المبنية والطبيعية، في المجتمعات البشرية وفي السياسات الاقتصادية والاجتماعية - من خلال تطوير وتنفيذ برامج حول العدالة البيئية، السيادة الغذائية والعدالة الاجتماعية.

ملخص

منذ عام ٢٠١٩ يمر لبنان بأزمة اقتصادية هائلة تسببت في أضرار اجتماعية وبيئية كبيرة، مما يسلط الضوء على قضايا في نموذج النظام الغذائي التقليدي الذي تحركه الصناعة الزراعية. بُني هذا المنشور على فهم أن الإيكولوجيا الزراعية - رؤية نظام غذائي بديل - يمكن أن تكون أداة لبناء نظام غذائي أكثر إنصافًا. يهتم هذا البحث بكيفية تطبيق الإيكولوجيا "كإطار عمل يأخذ بعين الإعتبار السيادة الغذائية" في لبنان، مع سؤال أساسي: كيف يمكن الارتقاء به من مبادرات متفرقة ومعزولة إلى نهج أكثر تماسكًا على صعيد البلاد ليؤثر على الممارسات والسياسات الزراعية والغذائية في لبنان؟

تم النشر في ٢٠٢٢

بواسطة جبال - جمعية من أجل العدالة البيئية والإجتماعية في لبنان - بيروت، لبنان.

هذا المنشور متاح على موقع jibal.org.

قائمة المحتويات

I. أهداف البحث وتصميمه

١.١ السياق
١.٢ أهداف البحث وخلفيّاته
١.٣ المنهجيّة

II. تاريخ الفلّاحين في لبنان وواقعهم

٢.١ العودة في التاريخ
٢.٢ صغار المزارعين والوصول على الأراضي
٢.٣ العمل الزراعيّ
٢.٤ ديناميكيّات القوة الأُخرى في سلسلة القيمة
٢.٥ الآثار البيئيّة

III. ماذا يحصل في لبنان اليوم؟

٣.١ لماذا أطلق الناس مبادراتهم؟
٣.٢ ما هو دور الناشطين؟

IV. أفكار ونصائح حول كيفيّة تعزيز الزراعة البيئيّة في لبنان

V. المراجع

I. أهداف البحث وتصميمه

تصوير شارلوت جوبيرت

١.١ السياق

يمرّ لبنان منذ العام ٢٠١٩ بأزمة إقتصاديّة عنيفة إرتدّت بتداعيات هائلة على عامّة الشعب.

إنّ هذا الواقع أفصح عن مكامن الخلل المتأصّلة في الروابط بين الأنظمة الغذائية المحليّة وتلك العالميّة. إنّ النظام الغذائي التقليديّ (العالميّ) يستند أساساً إلى الصناعة الزراعيّة التي تتحكّم بالمستلزمات الزراعية (مثل البذور، المبيدات الحشريّة، مبيدات الأعشاب) كما بالمُنتَجات النهائيّة (مثل الأطعمة العالية التجهيز، توزيع المنتَجات الطازجة).

ولأن المزارع المحليّ غير قادر على منافسة الصناعات الزراعيّة لما لها من حصة كبيرة في الأسواق العالميّة ومن أسعار مخفّضة، غدا العديد من المزارعين المحليين تحت خطّ الفقر.

إلى جانب التكاليف الإجتماعيّة، تشمل العواقب البيئيّة للنظام الغذائيّ التقليديّ التدهور البيئيّ الواسع، استنفاذ الموارد الطبيعيّة وفقدان التنوّع البيولوجيّ العالميّ[٢].

أما على صعيد الإستهلاك، فقد خفّض النظام الغذائيّ التقليديّ كلفة الغذاء الصناعيّ، وهي آلية دعم ذاتيّ أدّت إلى ازدياد الطلب على الأطعمة الباخسة الثمن.

إلاّ أنّ أسعار الغذاء المنخفضة تفضح الآثار الفعليّة للإنتاج الغذائيّ (على النُظُم البيئية الطبيعيّة، وعلى الصحة البشريّة)، وهي ظاهرة يُطلَق عليها اسم «نموذج الغذاء الأرخص[٣]».

١- اسكوا. الإسكوا تحذر: ثلاثة أرباع سكان لبنان يغرقون في الفقر. بيان صحفي. ٢٠٢١.
٢- تيم بينتون وآخرون. تأثيرات النظام الغذائي على فقدان التنوع البيولوجي. تشاتام هاوس. ٢٠٢١.
٣- جبال. استكشاف مبادرات الغذاء البديل في لبنان. ٢٠٢١.
https://www.jibal.org/wp-content/uploads/٢٠٢١/١٢/FOOD-INITIATIVES-REPORT.pdf.

إنّ هذا البحث يرتكز على مبدأ الزراعة البيئيّة -كطرح بديل للنظام الغذائيّ الحاليّ- قد تكون وسيلة لإنشاء نظام غذائيّ أكثر عدلاً.لا ترتكز الرسالة الأساسيّة للأنظمة الغذائيّة المبنيّة على الزراعة البيئيّة على تسليع الغذاء وعلى كيفيّة زيادة الإنتاج، بل على كيفيّة الاعتماد على الزراعة من أجل تحسين سبل العيش الريفيّة، والحدّ من الجوع، وتسهيل التطوير المُستدام[٤].

تصوير شارلوت جوبيرت

إنّ الزراعة البيئيّة هي:

نهج شامل متكامل يطبّق في آنٍ معاً المفاهيم والمبادئ البيئيّة والإجتماعيّة لتصميم وإدارة الأنظمة الغذائية والزراعيّة المُستدامة. فهي تهدف إلى تعزيز التفاعل بين النباتات، الحيوانات، الإنسان والبيئة، مع تلبية الحاجة إلى أنظمة غذائية أكثر عدالة يقوم الناس فيها باختيار غذائهم ومكان وكيفيّة إنتاجه[٥].

بحسب منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتّحدة (الفاو - UNFAO)

٤- *التقييم الدولي للمعرفة والعلوم والتكنولوجيا الزراعية من أجل التنمية. نحو زراعة متعددة الوظائف من أجل الاستدامة الاجتماعية والبيئية والاقتصادية. ٢٠٠٨.*

٥- *منظمة الأغذية والزراعة ، مركز معرفة الزراعة البيئية. ما هي الزراعة البيئية؟. (تمت الزيارة في ١١ نوفمبر / تشرين الثاني ٢٠٢٢).*

يحدّد ألكسندر ويزل مفهوم الزراعة البيئيّة ضمن ثلاث إتّجاهات رئيسيّة[٦]:

- الزراعة البيئيّة بوصفها ممارسة زراعيّة، حيث يقوم المزارعون باستمرار بابتكار وتكييف ممارساتهم مع الطبيعة والبيئة المحيطة بهم، وذلك عبر مناهج زراعيّة مرنة وصديقة للبيئة.
- الزراعة البيئيّة بوصفها عِلماً، تمثّل نظاماً شاملاً يضمّ الوجهَين البيئيّ والبشريّ.
- الزراعة البيئية بوصفها حراكاً، فتكون محوراً لحركة السيادة الغذائيّة.

إنّ هذا البحث يهتم بشكل خاص بالإتّجاه الثالث، الذي يعترف بأنّ الزراعة البيئيّة هي محور السيادة الغذائيّة.

إنّ السيادة الغذائيّة هي:

حقّ الشعوب في الغذاء الصحيّ والملائم ثقافياً، والمنتَج بأساليب آمنة بيئيّاً ومستدامة، وحقّهم أيضاً في تحديد الأنظمة الغذائيّة والزراعيّة الخاصة بهم[٧].

بحسب لا فيا كامبيسينا La Via Campesina (وهي حركة عالميّة شهيرة للفلّاحين)

خلافاً للأمن الغذائي، الذي يقيس مدى توافر الغذاء ومدى قدرة الشعوب على الوصول إليه، إنّ مفهوم السيادة الغذائيّة يسلّط الضوء على ديناميكيّات القوة.

٦- ميغيل ألتيري وآخرون ، «مقدمة» ، في أرض خصبة ، تحجيم الزراعة البيئية من الأرض ، طبعة. ستيف بريشيا (كندا ، ٢٠١٧) ، الصفحة ١٣.

٧- لا فيا كامبيسينا، ما هي السيادة الغذائية ؟، ٣-٢.

وهذا يُترجَم واقعياً بأنّ المسألة لا تنحصر في مجرّد تغييرالممارسات لتصبح أكثر ملائمةً للبيئة، وإلاّ لكانت الزراعة العضويّة كافيّة لمعالجة المشكلة. مع العلم أنّ مثل هذه النظم الزراعيّة لا تتعرّض لمسائل الزراعات الأحاديّة، واعتماد المستلزمات الخارجية على الواردات، ومنطق التصدير.

إنّ السيادة الغذائيّة تعني مواجهة ديناميكيّات القوة عن طريق معالجة الأسباب الكامنة خلف الجوع، الفقر واللاعدالة.

وحده تغيير نماذج الزراعة الصناعية القائمة على التصدير وعلى التجارة الحرّة المُعتَمَدة من قبل المشروعات الزراعية الكبرى يأتي بالحلّ لهذه القضايا الملحّة.

ومن وجهة نظر إداريّة، يتطلّب الأمر تفعيل المشاركة الديمقراطية المباشرة لمنتجي الأغذية والمستهلكين والوسطاء بينهم من أجل تحديد مدى اعتمادهم على أنفسهم، كما تحديد ممارساتهم الزراعيّة الخاصة، من أجل تنظيم الإنتاج الغذائيّ المحليّ والتجارة الغذائيّة لبلوغ الإستدامة البيئيّة والإقتصاديّة[٨].

إنّ هذا النظام يسعى إلى وضع الأفراد في صلب النظام الغذائيّ، بدلاً من التركيز على المشاريع الكبرى القائمة على الربح. وتتناسب الزراعة البيئيّة بوصفها ممارسة زراعيّة مع حركة السيادة الغذائيّة لأنّها تتمحور حول الحدّ من استعمال المستلزمات، وبذلك، تستبعد الإعتماد على المشاريع الزراعية والغذائية الضخمة للإستحصال على البذور، أو المبيدات الحشريّة، أو الآلات الباهظة الثمن. فعوضاً عن ذلك، تتّبع الزراعة البيئيّة أساليباً آمنة بيئياً، مُنسقة بالإجماع، ومرتكزة على المعرفة بدلاً من رأس المال. وعليه، تقوم الزراعة البيئية بمَحورة النظام الغذائيّ حول الثقافة، الشعب، الأرض والصحة، بدلاً من الأرباح.

٨- راج باتيل -ضيف محرّر، السيادة الغذائية، مجلة دراسات الفلاحين، ٣٦: ٣، ٢٠٠٩.

ترى لا فيا كامبيسينا La Via Campesina أنّه من أجل حماية سبل الناس المعيشيّة وأمنهم الغذائي وصحتهم، كما حماية البيئة، يجب أن يبقى الإنتاج الغذائيّ في أيدي صغار المزارعين المستديمين، ولا يمكن تركه رهنَ سيطرة الشركات الزراعية الكبرى أو سلاسل المتاجر الغذائيّة. فعلى صعيد عالميّ، تبقى نسبة الغذاء المُنتَجة من صغار المزارعين موضع تجاذب. لا سيما أنّ التطرّق إلى هذا الموضوع يعيد النظر في جدوى الصناعات الزراعية التجاريّة ومدى قدرة هذه الصناعات على تغذية العالم.

فبحسب تقرير صادر عن ECT في العام ٢٠٠٩، إنّ صغار المزارعين (أي الذين يحوزون على أراضٍ مساحتها تقلّ عن هكتار واحد، أي عشرة آلاف متراً مربعاً) يؤمّنون ٧٠٪ من كميّة الغذاء المُستهلَكة في جماعاتهم[٩]. بعبارات مختلفة، إنّ المَزارع الصغيرة تنتج طعاماً يُستهلَك مباشرةً، على عكس المَزارع الصناعية (الأراضي التي تفوق مساحتها العشرة هكتارات، أي ١٠٠,٠٠٠ متراً مربّعاً)، التي هي أكثر عرضة لزراعة المحاصيل لتغذية الحيوانات وللوقود الحيويّ ولغايات أخرى.

زدْ على ذلك أنّه نادراً ما يلجأ صغار المزارعين إلى الموارد الطبيعيّة في الزراعة، كما تغيب معهم الآثار السلبيّة الإجتماعيّة والبيئيّة الناجمة عن الزراعة الصناعيّة.

٩- مجموعة ETC ، «من سيطعمنا؟ أسئلة عن أزمات الغذاء والمناخ». الطبعة الأولى. البيان رقم ١٠٢. ٢٠٠٩.

على الرغم من أنّ السيادة الغذائيّة، كما الزراعة البيئيّة بوصفهما حركة، توحيان بالمغالاة في التركيز على الغذاء والزراعة، إلاّ أنّهما تشكّلان فعلياً حركة لمناهضة الهيمنة من أجل «التنمية المستدامة العادلة والصحيّة كمثال أعلى موحّد[١٠]». من هذا المُنطلق، تلتقي هذه الحركة وتتقاطع مع الحركات المناهضة للظلم والتسلّط، وذلك عن طريق الحثّ على تغييرات منهجية مثل تطبيق النسوية البيئيّة، والمكافحة في سبيل تحقيق العدالة المناخية. وقد عملت لا فيا كامبيسينا La Via Campesinaعلى تسليط الضوء على هذا التقاطع.

فعلى سبيل المثال، ومع الإعتراف بأنّ مفهوم الزراعة البيئيّة لا يكفي للقضاء على البطريركية، إلاّ أنّه يتصدّى للسياسات القمعيّة في الأنظمة الغذائية والزراعيّة عبر الاعتراف بالدور الأساسيّ للمرأة في تلك الأنظمة، وتقدير عملها المحجوب، وإشراكها في عمليات اتّخاذ القرارات[١١]. ويدّعي أعضاء la via campesina أيضاً بأنّه

> **»من خلال بناء ثقافة حول الغذاء ندرك أهمية إحترام جميع الناس والكوكب، إن الزراعة البيئية للفلاحين هي الخطوة الأولى والأكثر أهمية نحو تحقيق العدالة المناخية[١٢]«.**
>
> من Peasant agroecology

يخبرنا هذا البحث عن قدرة الزراعة البيئية على التغيير، وبذلك يدافع عن أهمّية هذه الحركة في معالجة مشاكل الغذاء والزراعة في لبنان. فنحن نراها مكوّناً اساسيّاً في السعي لبلوغ السيادة الغذائية في ظلّ الأزمة الراهنة التي تضرب النظام الغذائي في البلاد.

١٠- سيلفا وآخرون. النسويات البيئية وعلم البيئة الزراعية: اعادة تعريف العلاقات الاجتماعية والبيئية. بوابة البحث. ٢٠٢٢،٣.

١١- المرجع نفسه

١٢- Afrika Kontakt و La Via Campesina. الزراعة البيئية الفلاحية تحقق العدالة المناخية ، كتاب تمهيدي. https://viacampesina.org/en/wp-content/uploads/sites/٢/٢٠١٨/٠٥/primer_english_print.pdf. (تمت زيارة الموقع في ١ أكتوبر

ROX
high energy drink

إنّ خبرتنا اليومية في المجال جعلتنا نشهد على وطأة الضغط التي تؤدّي بالمزارعين إلى تغيير بعض ممارساتهم أو إلى التخلّي عن نشاطهم، فيما يتوجّه آخرون نحو اعتماد الممارسات المستدامة لأنّها تقلّص من مستلزمات الإنتاج المكلفة المستوردة من الخارج (مثل البذور المُخترعة، السماد، مبيدات الأعشاب، وأنظمة الريّ الباهظة الثمن).

كذلك نشهد على دخول جهات فاعلة لعالم الغذاء والزراعة، بعد أن وجدوا في الأزمة فرصةً لاستغلال ما تمّ استغلاله أصلاً من اليد العاملة ذات الأجر المنخفض، وذلك من أجل تقديم مُنتجاتهم المحليّة.

كما سلكت التوجّهات التمويليّة التي كانت تدعم النظام الغذائي في لبنانمنحى الأمن الغذائي؛ فيما ضمّت العديد من المنظّمات غير الحكوميّة الغذاء والزراعة الى برامجها.إنّ الأزمة التي يمرّ بها لبنان هي، من نواحٍ عديدة، فرصة ثمينة للبحث عن بدائل يمكن اعتمادها.

وتلعب الوزارات والداعمون والمنظّمات غير الحكوميّة دوراً رائداً في هذا الموضوع، مستعينين بالزراعة البيئية كإطار إرشاديّ لإعادة النظر في إخفاقات النظام الغذائي اللبناني.

١.٢ أهداف البحث وخلفيّاته:

يتمحور هذا البحث حول كيفيّة تطبيق الزراعة البيئية كنطاق عمل في لبنان، (لا سيما كنطاق عمل يأخذ السيادة الغذائية في عين الإعتبار)،

كما يطرح سؤالاً أساسيّاً:

كيف يمكن رفع مستوى الزراعة البيئية لتنتقل من مجرّد مبادرات منفردة متفرّقة، إلى خطة عمل شاملة متماسكة ترتدّ بالمنفعة على السياسات والممارسات الغذائية والزراعية في لبنان؟

لقد طرح فريق «جبال»هذا السؤال في أواخر ٢٠٢١[١٣]، وتحديداً بعد سنتين من البحث عن وسائل لنشر مفهوم السيادة الغذائية في البلاد. في حينها، كانت (ولا زالَت) نشاطات «جبال» تتمحور بصورة أساسيّة حول:

تدريب وتمرين المزارعين ليتحوّلوا إلى ممارسات أكثر استدامة.

الحثّ على إيجاد بدائل أكثر عدالة لوصول المزارعين الى الأسواق من أجل بيع منتجاتهم.

تفعيل وتسهيل حوكمة الأنظمة الغذائية بالتعاون مع البلديّات والسلطات المحليّة.

آنذاك، كان معظم أعضاء فريق «جبال» من المزارعين الذين يتّبعون بصورة أساسية أساليب الزراعة المُستدامة (وغيرها). بعضهم كان قد ساهم بإطلاق مبادرات تهدف إلى نشر الزراعة البيئية:

١) - **غصون**، وهو بستان جماعيّ يقع في زغرتا وتُقام فيه نشاطات تعليميّة ومناسبات عامّة.

٢) - **دائرة**، وهي مبادرة تجمع بين أعمال الفنّ والزراعة المستدامة في كفرذبيان، وهي جزء من شبكة المحافظة على البذور المتوارثة.

١٣- *جبال هي منظمة غير ربحية تأسست في لبنان عام ٢٠١٧. يجمع عمل جبال بين المنظورات الاجتماعية والثقافية والبيئية لتعزيز نهج شامل للتنمية المجتمعية. تعزز جبال الاستدامة في جميع جوانبها - في البيئات المبنية والطبيعية ، وفي المجتمعات البشرية ، وفي السياسات الاقتصادية والاجتماعية.*

إنّ تواتر الأحداث آنذاك أدّى بنا الى هذا البحث.

في العام ٢٠٢١، كانت جبال تقوم بحملة من التدريبات لدعم المزارعين المهتمّين بالتحوّل الى الزراعة المستدامة. فتبادر الى ذهننا السؤال التالي:

ما هي العوامل التي تؤدّي بالمزارعين الى اعتماد الأساليب المستدامة؟

يومها قمنا ببحثٍ حثيث أجاب على هذا السؤال، وجعلنا نعيد النظر في جدوى هذه التدريبات مقارنةً بغيرها من الوسائل المعتمدة، أو حتى كوسيلة مكمّلة لهذه الأخيرة.

وفي تلك الفترة، أي في كانون الاول ٢٠٢١، نظّمت «بذورنا جذورنا» لقاءً حول موضوع التدريب الزراعيّ في لبنان[١٤]. واستلهاماً من التبادلات التي حصلت فيها، قام فريق جبال بالدعوة إلى لقاء آخر في آذار ٢٠٢٢ من أجل تشكيل لجنة من المدرّبين، وذلك كخطوة تابعة لما أسفر عنه اللقاء الأول في كانون.

إلاّ انّ اللقاء الذي كان هدفه توحيد الجهود حول التدريب على الزراعة المستدامة في لبنان لم يحقق هدفه الأوليّ ومع ذلك، خرجنا منه بعبرتين قيّمتين.

أولها أنّنا بحاجة إلى توسيع نطاق المناقشة الجماعية، بحيث تتخطّى موضوع التدريب، لتشملَ خطة عمل واسعة ومبادرات عامّة حول الزراعة المستدامة.

والثانية، أنّنا بحاجة إلى تحديد دور الجهات الناشطة في الزراعة البيئيّة كما اولويّة كلٍّ منها بالنسبة إلى هذه الزراعة.

وقد أدّت بنا العبرتان إلى النظر في أهمّية اعتماد الممارسات البدائية التي اعتمدها جدودنا عبر التاريخ، وفي أنّ دمج المعرفة بالزراعة يخلق لنا زراعة بيئية ذات إطار ثقافيّ خاص يحتاجه لبنان اليوم.

١٤- *منظمة جماعية وغير حكومية تنتج بذور الإرث وتحافظ عليها للمساعدة في تحسين السيادة الغذائية في لبنان.*

تصویر شاراوت جوییرت

إنّ هذا التقرير هو الأول من بين سلسلة من التقارير نأمل أن تلحقه، هدفها فهم توجّهات الناشطين في الزراعة البيئيّة في لبنان على أمل دعم إنشاء حركة للزراعة البيئية اللبنانيّة.

على الرغم من أنّ هذا التقرير لا يجيب بشكل كامل على السؤال المطروح أعلاه حول رفع مستوى الزراعة البيئية، إلاّ أنّه يحثّ على التفكير والمناقشة في هذا الموضوع. نأمل أن تساعد المعلومات المعروضة ههنا على إنشاء حركة متناسقة متماسكة للزراعة البيئية في لبنان.

نستهلّ التقرير بلمحة عن القطاع الزراعي في لبنان، وبالتحديد عن الأوجه البنيويّة التي تحبط عملية تطوير نظام غذائي أكثر عدالة في البلاد. يتبعها نبذة عن العمل الزراعي وعن المبادرات الزراعية للناشطين الذين جرت مقابلتهم، والعوامل الدافعة إليها. ختاماً، نعرض أفكار ونصائح عن كيفيّة رفع مستوى الزراعة البيئية في لبنان.

١.٣ المنهجيّة

تأسّست المنهجيّة المُتّبعة في التقرير الراهن على قناعة أنّ المعرفة حول الزراعة البيئية في لبنان متوافرة عند الأفراد الذين يمارسون تلك الزراعة، سواءً كانوا مزارعين قدامى أم ناشطين\فعاليات يعملون على أرض الواقع لإطلاق مبادرات عن الزراعة البيئيّة.

إنّ ابرز المعلومات التي جاءت في التقرير منبثقة عن مقابلات متعمّقة شبه منظّمة أجريَت مع ١٢ ناشطاً بين منظّمات غير حكوميّة وأفراد يروّجون لأساليب الزراعة البيئية ومفاهيمها.

تمّ اختيار بعض الأشخاص للمقابلات عن طريق شبكة أعدّتها «جبال»، فيما اختير الآخرون على طريقة عيّنات كرة الثلج. جرَت عملية الإختيار باتّباع المعايير التالية:

١ أشخاص يعملون من أجل نشر الزراعة البيئية

٢ التنوّع الجغرافيّ للمشاريع

٣ تنوّع المنظّمة\هويّة الأشخاص الذين أطلقوا المشروع: نشاطات المنظّمات غير الحكومية والمبادرات الخاصة (سويلز Soils، بذورنا جذورنا، غصون، سيد إن إ بوكس Seed in a box)، المؤسّسات (منظّمة الغذاء والزراعة الفاو، وزارة الزراعة، المركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة ICARDA)، الخبراء (كنج حمادة، رامي زريق، خالد سليم)، وأفراد في جماعات محليّة (فارس زيدان، جمال حسّان، إسماعيل الشيخ حسن) (أنظر الجدول ١).

تصوير شاراوت خوبيرت

تناولت المقابلات مع الناشطين في الزراعة البيئية وجهة نظرهم حول الموضوع، أساليبهم، النشاطات التي قدّموها والدوافع خلفها، كما تناولت التحدّيات والعقبات التي واجهوها، والأولويّات التي حدّدوها لأنفسهم.

نشير إلى أنّ محدوديّات الوقت والمال أحبطت جمع المعلومات الكافية من المؤسسات. كما انّ المعلومات التي جمعناها من ممثّلي المؤسسات لم تكن كاملة ومتعمّقة، ومع ذلك زوّدتنا بلمحة عن عملهم، بما كان كافياً بالنظر إلى إطار هذه الدراسة.

الجدول رقم ١

	الجهات الناشطة في الزراعة البيئية	نبذة عنهم
المنظمات غير الحكومية والمبادرات الخاصة	سويلز بيرماكالتشر أسوسياشن Soils Permaculture Association أماني داغر	تهدف إلى تسهيل التعليم والتدريب ومشاركة الكفاءات والموارد المتعلّقة بالزراعة المستدامة الصديقة للبيئة.
	بذورنا جذورنا سيرج حرفوش	منظّمة غير حكومية جماعيّةمسجّلةتقوم بإنتاج وحفظ البذور المتوارثة من أجل المساهمة في سيادة الغذاء في لبنان.
	سيد إن أ بوكس Seed in a box والحركة الزراعية سارا سلّوم بشّار أبو سيفان	مبادرة مدعومة من «الحركة الزراعيّة»، تهدف إلى نشر التوعية والتعليم التطبيقيّ في مجال الزراعة المُستدامة، والترويج لممارسات الزراعة العضوية المُستدامة.
المؤسسات	منظمة الغذاء والزراعة فاو فادي أسمر	منظّمة تابعة للأمم المتّحدة تعمل من أجل القضاء على الجوع في العالم.
	وزارة الزراعة في لبنان روزين حبشي	مؤسسة عامة يتمحور عملها حول البحوث الزراعيّة، الجودة الغذائية، والتطوير الريفيّ المُستدام.
	المركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة ICARDA حسن مشلّب	مؤسسة بحثية لا تتوخّى الربح تهدف إلى تحسين سبل المعيشة عند المفتقرين الى الموارد في المناطق الجافة من العالم، تدير بنكاللجينات في منطقة تربل في البقاع.
الخبراء	كنج حمادة	خبير إقتصاديّ في مجال التنمية والزراعة، وخبير في الأمن والسيادة الغذائيين.
	رامي زريق	أستاذ ومدير في دائرة تصميم المناظر الطبيعية وإدارة الأنظمة البيئية في كليّة العلوم الغذائية والزراعية في الجامعة الأمريكية في بيروت.
	خالد سليم	خبير ومدرّب على الزراعة البيئية في لبنان، مؤسس the Native Nursery
جماعات محليّة	فارس زيدان	مزارع بستانيّ من معاصر الشوف، يبتكر وصفات للمبيدات الحشريّة الحيوية.
	نحيي الأرض إسماعيل الشيخ حسن	مخطّط مدن، شارك في تأسيس «نحيي الأرض»، وهو بستان جماعيّ تعاونيّ للزراعة البيئيّة في صيدا.
	تعاونية بتلون جمال حسن	مزارع بستانيّ في بتلون، الشوف، رئيس تعاونية الزراعة في بتلون.

جرَت مراجعة سريعة للبيانات الثانوية المتوافرة- بما في ذلك التقارير والمقالات الإخبارية - من أجل تحديد الواقع اللبناني الحالي وتوسيع النقاش حول الزراعة والسيادة الغذائية في العالم. وقد استغرقت هذه النتائج القسم الأكبر من الدراسة.

وفي ظلّ النقص في المعرفة حول الممارسات الزراعية التاريخية لأجدادنا، عمدَت الدراسة إلى استجواب مجموعة أخرى من الأشخاص حول ذكريات الممارسات الزراعية التقليدية/البدائية. تمّ اختيار هؤلاء بشكل رئيسي من خلال المعارف في قريتين في لبنان: شبطين (قضاء البترون) وحمانا (قضاء بعبدا). ومع أنّ هذا الأمر لم يكن الغرض الرئيسي من الدراسة،إلاّ أنّه ساعد في رسم إطار لإمكانية توسيع نطاق الزراعة البيئية عبر دمجها بالثقافة. نتوسّع في هذا المضمار في قسم «العودة في التاريخ».

لقد تم تجميع الخبرات الجماعيّة حول الزراعة البيئيّة الخاصة بأعضاء جبال وضمّها مع البيانات الأولية والثانوية، ذلك من أجل بلوغ النتائج النهائية لهذه الدراسة. إنّ المقابلات كافةً قد حصلت باللغات الفرنسية والإنجليزية والعربية وتمّ تسجيلها بعد طلب موافقة من أُجريت معهم. تُرجمَت بعض الاقتباسات المباشرة الواردة في هذا التقرير من العربية والفرنسية.

II. تاريخ الفلاّحين وواقعهم في لبنان

صورة من بيروت القديمة - Tumblr

٢.١ العودة في التاريخ

منذ القرن السادس عشر، ارتبط الإنتاج الزراعي في جبل لبنان بالمدن الرئيسية،ليتمّ تصديره بعد ذلك إلى بلدان مختلفة. كانَت السلع تشمل بشكل رئيسي القطن وزيت الزيتون والصوف والحرير والصابون. فعلى سبيل المثال، كان إنتاج الحرير في لبنان مدفوعًا بالطلب الفرنسي المتزايد عليه بعد أن أصبح إنتاجهم المحلي مكلفًا للغاية من الناحية البيئية وعبئًا على الصحة العامة[١٥]. أصبح لبنان محور هذه الصناعة من أجل تحوير هذا العبء عن مصدره. مع بداية القرن التاسع عشر، ولأن دود القزّ كان يقتات من أشجار التوت فقط،انتشر هذا النوع من الأشجار في جزء كبير من جبل لبنان وفي أجزاء من البقاع، لتحلّ هذه الزراعة محل محاصيل الكفاف التقليدية مثل القمح والشعير[١٦]. ومع ذلك، كان بعض المزارعين في أواخر القرن التاسع عشر لا يزالون يزرعون المواد الغذائية الأساسية مثل الشعير والذرة، فيما كان يتمّ استيراد معظمها من سوريا أو شراؤها من البقاع للاستهلاك المحلي[١٧].

١٩١٨
نهاية
الإمبراطورية
العثمانية

١٩٤٣
نهاية
الانتداب
الفرنسي

على الرغم من هذه التحوّلات الزراعية، في بداية القرن التاسع عشر كان العديد من سكان المناطق الريفيّة يمارسون زراعة الكفاف.

تعرض الروايات التالية ذكريات أفراد مسنّين عن الحياة الزراعية في لبنان في تلك الحقبة. يقول كليم كليم، وهو رجل يبلغ من العمر ٨٨ عامًا من قرية شبطين في قضاء البترون أنهم

"كانوا يعيشون من الأرض، كنّا نزرع جميع أنواع الخضروات التي كنا نستهلكها."

ذكر كليم كما جميع المسنّين الذين قابلناهم في حمانا أن معظم سكان القرية كانوا يزرعون القمح.

١٥- قيس فرّو. الحرير والتغييرات الزراعية في لبنان، ١٨٦٠-١٩٤٠. المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط ٢٢، لا. ٢ (١٩٩٠): ١٥١-٦٩. ١٧/١/٣٣٣٥٣-٢٧٤٣٨.S.

١٦- سالم درويش. قضايا إعادة التحول الريفي في البقاع (لبنان) والسياسات العامة والمحاصيل غير المشروعة.

١٧- قيس فرّو. الحرير والتغييرات الزراعية في لبنان، ١٨٦٠-١٩٤٠. المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط ٢٢، لا. ٢ (١٩٩٠): ١٥١-٦٩. ١٧/١/٣٣٣٥٣-٢٧٤٣٨.S.

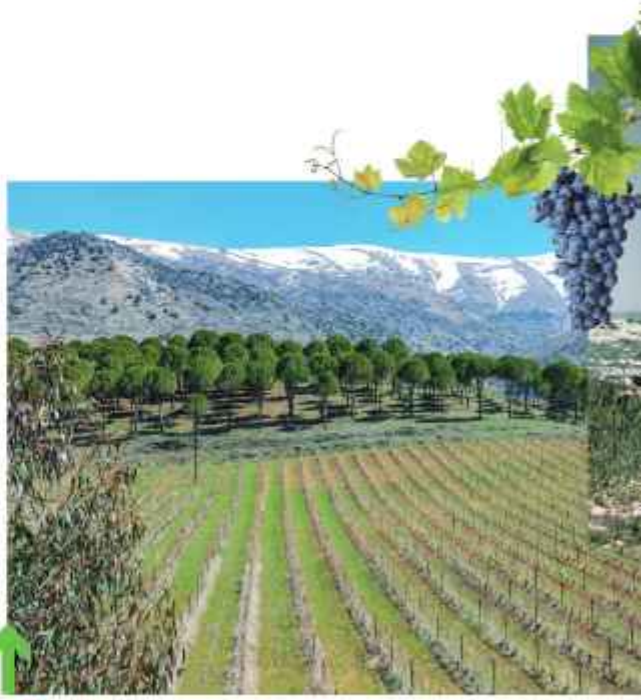

١٩٧٥
بداية
الحرب الأهلية
اللبنانية

١٩٩٠
نهاية
الحرب الأهلية
اللبنانية

يوضح جوزيف بو سمرة، وهو رجل من حمّانا يبلغ من العمر ٨٩ عامًا، أنّهم

كانوا جميعًا يزرعون القمح في الجبال ... وما يُعرف الآن بضهر البيدر، كان يُسمى «بيدر القمح».

فيما يتعلّق بالسلع، يوضح كليم أن مصدر دخلهم الوحيد كان من التبغ:

كنا نزرعه ونبيعه لشركة الريجي Régie. نبيع بثمن ٣٠٠ أو ٤٠٠ ليرة،ما يكفي معيشتنا لعامٍ كامل.

يشرح جوزيف بو متري، ٨٢ عامًا من حمانا، كيف أن تأمين الدخل النقديّ لم يكن شائعًا جدًا في القرية في ذلك الوقت حيث

لم يكن لدى معظم الناس حتى ٥ ليرات في جيبهم ... بل كان أحدهم يزرع القمح والآخر الحمص، ونتبادل السلع فيما بين بعضنا البعض.

بمعنى آخر، كانت الجماعة تعتمد على أفرادها لتبادل الحاجات الأساسية. يعطي جوزيف بوسمرة مثالاً آخرعن نظام المقايضة حيث قال إنه

كانوا ينقدون مطحنة الدقيق بالدقيق، لا بالنقود.

شرفا عوض، امرأة من شبطين، توضح لنا أن هذا التبادل كان يحدث أحيانًا لقاء العمل. تقول

عندما كنت طفلة، كنت أذهب مع إخوتي إلى بشري لحصاد البطاطا ... كنا نذهب إلى هناك بالحافلة ... كنا أعداداً كبيرة من القرية، ربما ٣٠ شخصًا ... في طريق العودة،كنّا نعود بشاحنة بيك-أب حتى نتمكن من إحضار البطاطا معنا ... كنّا نتقاضى أجرنا من البطاطا.

كليم كليم

جوزيف بو سمرة

شرفا عوض

جوزيف بو متري

في حين أن هذه الروايات تأتي من قرى تقع في جبل لبنان، يوضح الخبير في إقتصاد التنمية كنج حمادة ما يلي:

"للزراعة في لبنان تاريخان. تاريخ متصرفية جبل لبنان[18] وتاريخ الأقضية الأخرى عندما دخلَت مناطق بيروت وجبل لبنان مجال التجارة الدولية عن طريق الحرير والتبغ، كانت منطقة البقاع لا تزال تقليدية للغاية، واستمرّ هذا الأمر حتى الخمسينيات تقريبًا."

على سبيل المثال، في بداية القرن التاسع عشر، مارست قرى الهرمل والقاع زراعة الكفاف مع القليل جدًا من التجارة، حيث كانت تنتج الحبوب والبقوليات بشكل أساسي. وكانت قرية عرسال شهيرة في تربية الماعز ثم تربية الأغنام، مع إدارة موارد الأرض والمياه بشكل جماعي. وما زالت أنماط التنمية المتباينة عبر المناطق الجغرافية المختلفة تؤثّر حتى اليوم بشكل كبير على الوضع الزراعيّ والموارد الطبيعية[19].

تصوير شارلوت جوبيرت

١٨- كانت متصرفية جبل لبنان إحدى التقسيمات الفرعية للإمبراطورية العثمانية بعد إصلاح التنظيمات.

١٩- كنج حمادة وآخرون على جانبي الحدود اللبنانية السورية: التغيرات في الزراعة في منطقة العاصي العليا. كيرن انترناشيونال. ٢٠١٥.
https: //www.cairn.info/revue-confluences-mediterranee-٢٠١٥-١-page-١٩.htm

فيما يخصّ الممارسة، فإن واقع زراعة الأجداد وتقنيّاتها تندرج تحت نهج الزراعة البيئية. وعلى الرغم من انّ الروايات أدناه لا تصل بالضرورة حدّ توصيفها بالزراعة البيئية كـ«حركة» بل تميل إلى كونها «ممارسة» زراعية مستدامة، إلاّ انّ سردها يبيّن كيف تغيّرت تقاليد الغذاء والزراعة بشكل كبير منذ ذلك الحين، لتصبح أقل استدامة للناس وللطبيعة.

تناول الأشخاص الذين تمّت مقابلتهم استراتيجيات الحدّ من استعمال المياه، كما المعالجة المحلية والزراعة المستدامة، والخيارات الغذائية أدناه. يشرح لنا كليم كليم كيف تمّ إنتاج معظم الأطعمة المستهلكة محليًا بواسطة الموارد الطبيعية المتاحة. فهو يتذكّر مثلاً كيف اعتادوا

"زراعة القمح قبل الشتاء مباشرة، لذلك لن يحتاج إلى الريّ"

مما حدّ من استعمال المياه.

وفي سياق استراتيجيات الحدّ من استعمال المياه، أوضح أن الطماطم كانت تُروى فقط في بداية الموسم، ولأن

"الخيار يحتاج إلى المزيد من المياه، كنّا نزرع المقتي (الخيار الأرمني) بدلاً منه."

وأعادت المحادثة ذكريات عن نوع مختلف من سلسلة تجهيز الأغذية، سلسلة كانت محليّة وعلى نطاق ضيّق:

"أتذكر وجود بيدر حيث تمّ بناء منزل جارنا الآن."

يوضح كليم كيف تحدّدَت الخيارات الغذائية بالموارد الطبيعية وبالمناخ المحلي، وكيف أنّهم لم يزرعوا الفول في جبال البترون لأنها تحتاج إلى كميّات كبيرة من المياه.

.يقول جوزيف بو متري أنهم في حمانا

"لم نزرع العدس، يحتاج إلى مناخ أكثر دفئًا ... كنّا نزرع الحمص والفول بدلاً منه."

كما انعكست الخيارات المتوافقة بيئياً على الاستهلاك المحليّ. فعلى سبيل المثال، كان الناس في شبطين يأكلون العدس (المجدّرة)، بينما في حمانا، يستبدلون العدس بالفول.

وكذلك تمّ تنظيم استهلاك اللحوم بصورة مختلفة. تروي ماري كليم كيف كانوا يستهلكون اللحوم فقط خلال عيد الفصح، ويتذكر جوزيف بو متري كيف كان يتمّ تناول اللحوم مرة واحدة في الأسبوع كحد أقصى، في حين كان الدجاج متوافراً في جميع المنازل.

تصف هذه الأمثلة المختلفة الممارسات الزراعية المحصورة في بيئة معينة، وطريقة تكييفها بحسب توافر الموارد الطبيعية، وانضوائها تحت سلسلة قيمة محدودة مكانياً، وأقلّ تأثيراً على البيئة - خاصة فيما يتعلق باستهلاك اللحوم.

تصوير شارلوت جوبيرت

على الرغم من أنّ هذه الأنظمة محصورة مكانياً، لم تكن المجموعات معزولة عن بعضها البعض. ففي حين أن معظم المحاصيل كانت تُزرع في كل قرية على حدة، كان يحصل تبادل كثيف بين مختلف المناطق الجغرافية في لبنان. تُظهِر قصة حصاد البطاطا في بشري هذا النوع من التبادل، كما هو الحال مع قصص أخرى رواها من تمّت مقابلتهم. تتذكّر ماري كليم كيف اعتاد والدها الذهاب إلى طرابلس لشراء الخيار لأن زراعته تتطلب موارد مائية كافية لم تكن متوافرة نسبياً في منطقتهم.

كذلك يخبرنا جوزيف بوسمرة أن العدس الذي يأكلونه كان يتمّ شراؤه من البقاع.

أما عن مستلزمات الزراعة، فتُظهر الزراعة في لبنان اليوم مستويات عالية من استخدام المبيدات. فسألنا إذا كان هذا هو الحال في تقاليد الزراعة فيما مضى. يفيد جوزيف بو متري أنهم

"لم نكن نرشّ المبيدات، إذ لم تكن هناك حشرات/آفات."

وكانت إجابات الباقين مماثلة. يروي جوزيف بو سمرة كيف كان والده يستخدم الخيش والكبريت لإزالة الحشرات، بينما في أحيان أخرى كانوا يلجأون إلى رماد الخشب المنقوع في الماء.

تصوير شارلوت جوبيرت

٢.٢ صغار المزارعين والوصول على الأراضي

يؤثّر نظام الملكية العقارية وسياسات حقوق الملكية بشكل كبير على ديناميكيات النظام الغذائي والزراعي. يعرض هذا البحث لمحة موجزة عن ملكية الأراضي والأسباب التي جعلت الزراعة في لبنان على حالتها الراهنة.

في نهاية القرن التاسع عشر،كان عدد قليل فقط من العائلات يسيطر على مساحات شاسعة من العقارات. خلال هذا الوقت، فرض الحكم العثماني نظام الملكية الخاصة من أجل تحصيل المزيد من الضرائب (ما كان يُدعى بـ«التنظيمات»). وهذا يعني أن العقارات التي كانَت في حالة الانتفاع («العقارات الأميريّة») باتت مسجّلة كملكية خاصة.

استفادت من هذا التعديل في نظام ملكية العقارات، في المقام الأول، العائلات الكبرى ذات النفوذ التي كانت بالفعل مسؤولة عن زراعة هذه الأراضي واستفاد أيضاً التجار المدنيون[٢٠]. في حين أن طبقة الفلاحين[٢١] التي بدأت في الحصول على الأرض آنذاك أصبحت أكثر استقلالية عن كبار مالكي العقارات، وأكثر اعتماداً على التجار[٢٢]. وكان التجار المدنيون يتعدَّون على قطاع الزراعة عن طريق الإستحصال على المستلزمات الزراعية من أجل بيعها لمالكي العقارات الصغيرة عن طريق التسليف.

وحين يواجه هؤلاء الفلاحون الذين تحولوا إلى صغار المزارعين صعوبات مالية، ويصبحون عاجزين عن سداد ثمن المستلزمات المشتراة في بداية الموسم، كان بعض التجار يستغلون ذلك للإستيلاء على أراضيهم[٢٣]. أدّت هذه الممارسات إلى تركيز ملكية الأراضي في أيدي الأقليّة. من العوامل الأخرى التي أدّت الى تجميع الأراضي، تسجيل العديد من الأراضي التي كانت تعتبر ملكية جماعية (مشاعاً) تحت اسم منطقة بارزة، وذلك من أجل الحفاظ على الولاء للسلطنة العثمانية[٢٤].

خلال الانتداب الفرنسي (١٩٢٠-١٩٤٣)، استمرّت القوّات الفرنسيّة في ضرب الهيكليّة الزراعية السابقة، وذلك من خلال إدخال العديد من

٢٠- ستيفان غيوتي ورولان رياشي ، إدارة المياه في لبنان: ثورة مُصادَرة؟ -المجلات المفتوحة الإصدار ٢٠١٣

٢١- تم استخدام مصطلح فلاح ومزارع بنفس المعنى في هذا التقرير. ويشير إلى أصحاب الأراضي الصغيرة ، الذين عادة ما يكونون ضعفاء اقتصاديًا ، ولديهم وصول محدود إلى الخدمات الاجتماعية ، ويعتمدون في الغالب على عمل الأسرة مع توظيف عمال في بعض الأحيان ، والذين يسعون إلى تقليل التكاليف المالية. يشمل المصطلحان أيضاً العمّال الذين يعملون في أرض شخص آخر.

٢٢- قيس فرّو. الحرير والتغييرات الزراعية في لبنان ، ١٨٦٠-١٩١٤. المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط ٢٢ ، لا. ٢ (١٩٩٠): ١٥١-٦٩. ١٠١٧/S٠٢٠٧٤٣٨٠٠٠٣٣٢٥٣.

٢٣- كنج حمادة وآخرون - على جانبي الحدود اللبنانية السورية: تغييرات في الزراعة في منطقة الأورونتس العليا- ملتقى البحر الأبيض المتوسط ٢٠١٥.

٢٤- بيتر وايت. الشرق الأوسط: الجغرافيا السياسية للديناميات الزراعية. هيرودوت. ٢٠١٥. الصفحة ٣٠.

الإصلاحات والتغييرات المؤسساتية. مثل «Régie du cadastre" (السجل العقاريّ) الذي سعى إلى مسح العقارات وتحديد الحدود الدقيقة لكلٍّ منها بغيةَ تطوير الخريطة المساحية التي لا تزال مُعتمَدة في لبنان اليوم. وكانت الأراضي المسجلة على أنها مشاع - خاصة في منطقة سهل البقاع - هي الأكثر تضرّراً. وقد أدت هذه التدخّلات إلى تغيير جذريّ في النظم التقليدية للوصول إلى الأراضي وإلى المياه، إذ جنحَت نحو الخصخصة وباتت حكراً على أصحاب النفوذ من قاطني المُدُن[٢٥].

وقد ارتدّت سياسات الريّ بشكل خاص على الزراعة. فبعد تطوير أنظمة الريّ، تحوّلت الزراعة في البقاع من المحاصيل البعلية إلى أشجار الفاكهة والخضروات المائيّة.

في العملية المستمرة لإفادة ذوي النفوذ، أدت الإصلاحات المذكورة إلى استبعاد المعرفة التقليدية. وبذلك تكون سلطة الانتداب الفرنسية قد حدّدَت وظيفة الطبيعة والمستفيدين منها وكيفيّة استثمارها، وذلك تحت ستار التطوير الحضاريّ[٢٦].

أطفال في عكار في طريقهم لتعبئة المياه من بئر، تموز 1967 (حقوق الصورة لأرشيف لبنان)

٢٥- ستيفان غيوتي ورولان رياشي ، إدارة المياه في لبنان: ثورة مصادرة ؟. المجلات المفتوحة الإصدار ٢٠١٣.

٢٦- المرجع نفسه

لم تتطرّق الحكومة اللبنانية الى سياسات التنمية الزراعية والريفية إلا في أوائل الستينيات. فقد أدخلت تغييرات تهدف إلى التحسين من توزيع الثروات ومن التنمية الجغرافية غير المتكافئة، لكنها لم تفعل شيئًا يُذكر لمعالجة الأسباب الجذريّة المتراكمة مع الوقت[٢٧]. في فترة ما بعد الحرب الأهلية، لم يتمّ بذل أيّ جهود فعليّة لتطوير الزراعة، بل تركّزت الجهود الاقتصادية الوطنية بشكل أساسي على المناطق الساحلية[٢٨]. وانحصرت الاصلاحات في التنمية الزراعية آنذاك في المشاريع الجزئية الممولة من جهات دوليّة وجهات داخلية غير حكومية.

إنّ معظم المزارعين اليوم هم من صغار المزارعين. ٧٠٪ منهم يعملون على عقارات تقلّ مساحتها عن هكتارٍ واحد. وأكثر من ثلثِ عددهم يزرعون للإكتفاء الذاتي[٢٩]. يمكن إعتبار صغار المزارعين ظاهرة إجتماعيّة من الزراعة البيئيّة، أكثر منها إقتصاديّة. فعادةً ما تتّخذ هذه الممارسات الزراعيّة المتواضعة شكل «المزرعة العائليّة»، حيث تكونُ العائلة الواحدة مالكة للأرض ومستثمرة لها في آن. (تقوم العائلة بغالبيّة الأعمال الزراعيّة، أكانَت دائمة أم فصليّة). تشكّل هذه المزارع العائلية المتواضعة أساساً للحياة الفلاحية الريفيّة التي تحمل في جوانب عديدة منها الهويّة الثقافيّة اللبنانيّة كما التراث والقِيَم[٣٠].

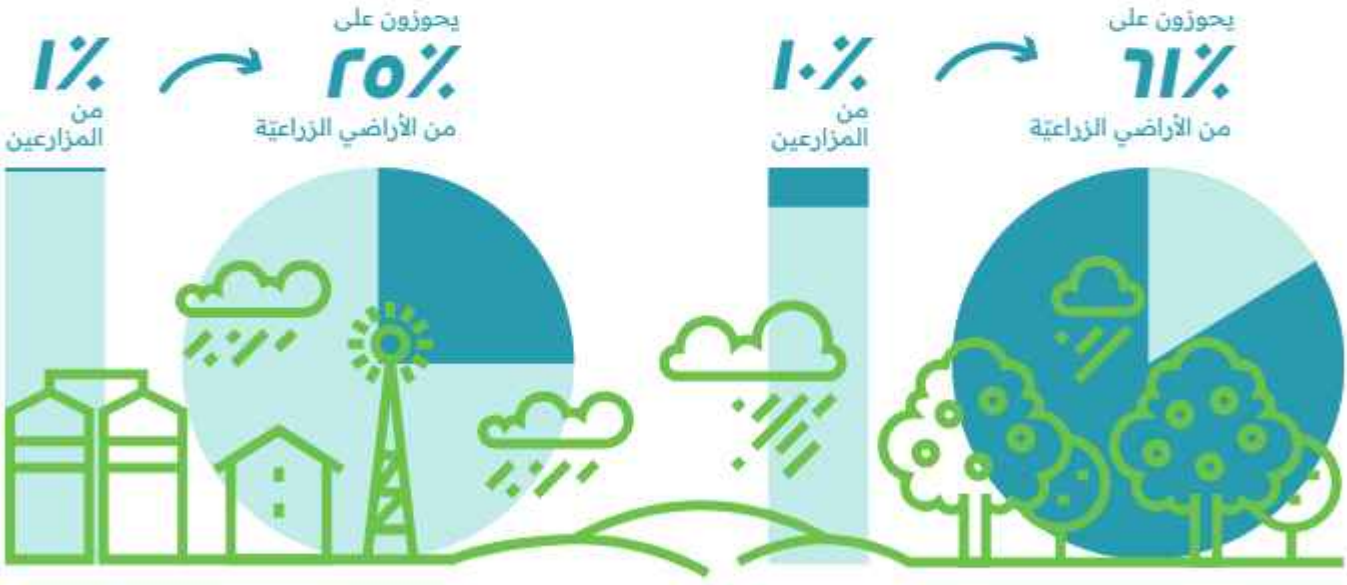

٢٧- كنج حمادة. الزراعة في لبنان: ديناميات الانكماش في غياب الرؤية العامة والسياسات. شبكة المنظمات العربية غير الحكومية للتنمية-٢٠١٩

٢٨- بيتر وايت. الجغرافيا السياسية للديناميات الزراعية. كيرن انترناشيونال. ٢٠١٥. https://www.cairn.info/revue-herodote-٢٠١٥-page-٩.htm

٢٩- منظّمة الأغذية والزراعة- . الزراعة الأسرية على نطاق صغير في الشرق الأدنى وشمال إفريقيا ، التركيز القطري: لبنان. المركز الدولي للدراسات الزراعية المتوسطية المتقدمة. ٢٠١٧. https://www.fao.org/٣/i٦٦٨٢f/i٦٦٨٢f.pdf.

٣٠- المرجع نفسه

تشكّل الزراعة في حالتها الراهنة مصدراً ثانويّاً للدخل بالنسبة للعديد من المزارعين في لبنان، لأنّها لم تعد تحمل منافعَ إقتصاديّة. والسبب في ذلك يعود جزئيّاً إلى عدم التكافؤ في الملكية العقارية في لبنان. فبحسب دراسة أجراها كنج حمادة،يحوز ١٪ من المزارعين على ربع الأراضي الزراعيّة، فيما يحوز العُشر الأعلى على ٦١٪ من الأراضي الزراعيّة.

المعروف أنّ المساحة الوطنيّة الإجماليّة للأرض الزراعية هي ١,٣٦ هكتار (١٣,٦٠٠ م٢)، إلاّ أنّ ٧٠٪ من الأراضي الزراعيّة تقلّ مساحتُها عن الهكتار الواحد (١٠,٠٠٠ م٢)، فيما ٢٪ فقط تتجاوز مساحتُها العشرة هكتارات (١٠٠,٠٠٠ م٢)[٣١].

ما زال الوصول الى الأراضي كفاحاً مستمرّاً لا سيما فيما يتعلّق بالعقارات الأميريّة التي أصبحَت حالياً ملكاً للدولة. ينتشر هذا النوع من العقارات في أرجاء البلاد، وبالأخصّ في بعلبك (٣٣٪)، البقاع الغربيّ (٢٣٪)، وعكّار (٧٪). تمتاز العقارات الأميريّة بأنّها تمنح الحائز (وهو غير المالك) حقّ استعمالها والإنتفاع بها، ويدوم هذا الحقّ مدى الحياة وفقاً لشروط محدّدة، ثم ينتقل بالإرث بالتساوي بين الإناث والذكور[٣٢]. ولهذا السبب تحظى زراعته بحماية خاصة. وقد إقترح بعض النوّاب في مناسبات عدّة خصخصة هذا الملك العام.إنّ هذا الأمر يشكّل خطراً إضافيّاً على حياة الزراعة بالنسبة للعديد من غير المالكين ويحصر المزيد من العقارات في أيدي قلّة قليلة.

٣١- كنج حمادة. تحويل الرابط التاريخي بين السياسة الزراعية وعدم المساواة في لبنان. بانفيلد ، ج. ، وستاماديانو ، ف. (محرران). نحو اقتصاد سلمي في لبنان. تنبيه دولي: لندن، ٢٠١٥.

٣٢- استوديو الأشغال العامة. فصيل الوفاء لمقاومة إلغاء نظام الأراضي الإماراتي https: //publicworksstudio.com/en/node/٢٠٢١/١

عامل آخر مرتبط بالعقارات يهدّد الحياة الزراعية في لبنان هو السياسات النيوليبرالية العامة التي تفضّل التطوير العقاري على الزراعة. إنّ تطوير صيدا هو أحد الأمثلة على هذا المسار. في مقال نُشِر في عام ٢٠٢٠، تشرح لين جبري كيف أن

مشاريع التنظيم المُدُنيّ تُحدِث تحوّلات اقتصادية واجتماعية جذريّة في المدينة،معرّضةً الموارد المائية والأراضي الزراعية للخطر، وبالتالي تضرب مظاهر الإستدامة في المدينة[٣٣].

وتعطي جبري مثالاً على مشروع إعادة التخصيص (المسمّى ضم وفرز) الذي أطلقته بلدية صيدا وعضو مجلس النواب بهية الحريري.

فمن خلال هذا المشروع، تمّجمع البساتين الزراعية الواقعةفي منطقة الوسطاني وإعادة تقسيمها لإفساح المجال للتطوير العقاري. كما أشار إسماعيل الشيخ حسن من مبادرة نحيي الأرض، إلى مشروع الضمّ والفرز:

الذي قسّم الأراضي الزراعية وموارد المياه الطبيعيّة في صيدا إلى أراضٍ وطرق مربّعة الشكل. قضت هذه العملية على النظم البيئية الاجتماعية والطبيعية المعقّدة في سهل صيدا الزراعي، وذلك لمصلحة التطوير العقاري الذي يخدم المنفعة الخاصة. مع الوقت، ضاعت قيمة الأرض كمورد مشترك وكتراث للمدينة.

وبحسب الشيخ حسن، إن هذه الممارسات أدّت إلى الحصر التدريجيّ للأراضي الزراعية في صيدا في أيدي قلّة من الأثرياء. كما أدّى هذا التحوّل إلى شرخ إضافيّ في المساواة المجتمعيّة بنتيجة الحدّ من تنوّع إستعمال الأراضي، وقلْب الميزان لصالح كبار مطوّري العقارات.

٣٣- لين جابر، الزبالنية وتدمير أنظمة المياه القديمة في صيدا، جدلية، ٢٠٢٠. https://www.jadaliyya.com/Details/٤

مبادرة ليل المدينة «حماية قناة الخاسكية (قناطر صيدا). إيجاد أدوار جديدة لقناة قديمة، ٢٠١٨

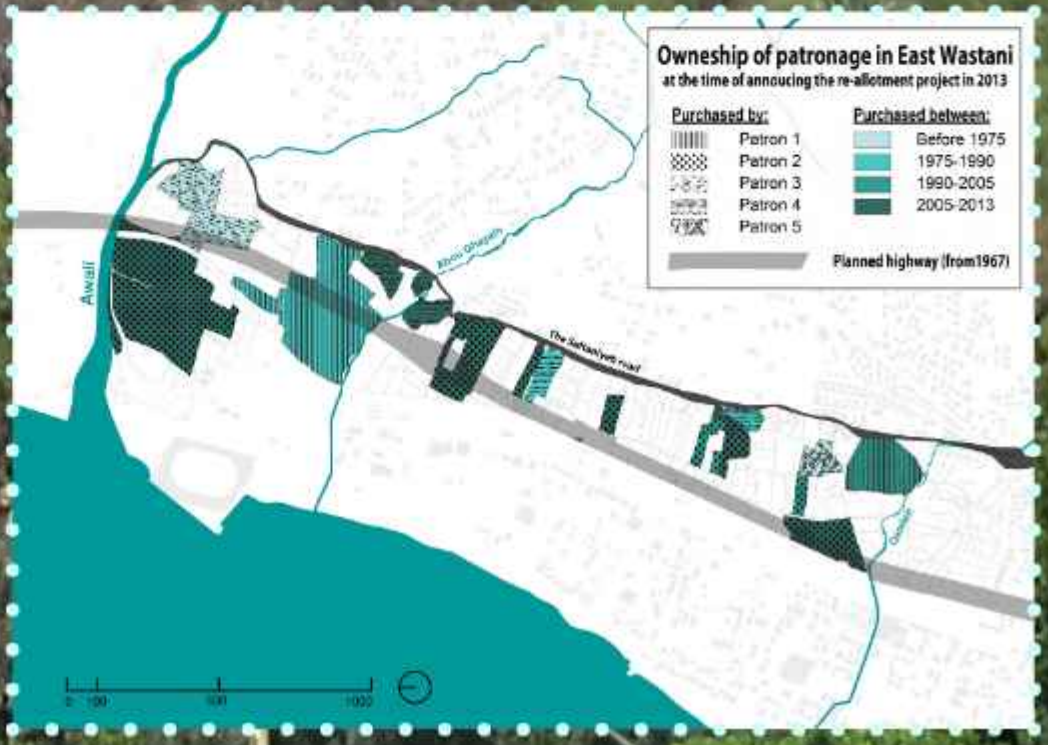

تستند هذه الخريطة إلى تسجيل الأراضي المصدق عليها وكذلك المسترد من قبل ليل المدينة والمعلومات التي جمعها المؤلف أثناء زيارات الموقع في مبادرة ٢٠١٨

٢.٣ العمل الزراعيّ

يخالف معظم العمل الزراعي في لبنان قانون العمل: ٨٨٪ من اللبنانيين العاملين في هذا القطاع - باستثناء عمّال الأسرة غير المأجورين - يعملون بشكل غير رسمي و / أو مزارعهم غير مسجّلة قانوناً[٣٤]. والأمرُ ذاته بالنسبة إلى العمال الأجانب، الذين (دائمًا تقريبًا) يعملون بشكل غير مشروع. لهذا السبب، غالبًا ما يفتقر المزارعون والعمال الزراعيون إلى الضمان الاجتماعي المناسب، وإلى الإجازات المرضية، وإلى الحماية من المخاطر الزراعية. ولأنهم يتقاضون أجورًا منخفضة نسبيًا، فهم يُعَدّون من أفقر العمّال من بين جميع القطاعات العمّالية في لبنان.

تشير التقديرات إلى أن حوالي ٧٥٪ من الحيازات الزراعية تتطلّب عمّالاً موسميين،فيما تتطلّب ١٢٪ أخرى عمّالاً بدوام كامل من خارج الأسرة[٣٥]. تمّت تلبية احتياجات العمل الزراعي في لبنان بشكل أساسيّ من قبل العمال السوريين الذين يتمّ اختيارهم من خلال وسيط سوري («الشاويش» باللغة العربية)، وهو ما درجَت عليه العادة منذ منتصف

تصوير شاراوت جوبيرت

القرن العشرين. يعمل في القطاع اليوم العديد من النازحين، لا سيما السوريين منهم الذين هاجروا إلى لبنان خلال الحرب السورية[٣٦]. ومع ذلك، كانت٥٤٪ من القوى العاملة الزراعية في سهل البقاع، و٩٠٪ في عكّار،تتألّف من نازحين سوريين قبل العام ٢٠١١[٣٧].

٣٤- منظمة العمل الدولية ، منظمة الأغذية والزراعة. تنمية المهارات من أجل النمو الشامل في القطاع الزراعي اللبناني - موجز سياسات. ٢٠٢٠. https://doi.org/١٠.٤٠٦٠/cbr٤٥٧en.

٣٥- كنج حمادة. الزراعة في لبنان: ديناميات الانكماش في غياب الرؤية العامة والسياسات. شبكة المنظمات العربية غير الحكومية للتنمية-٢٠١٩

٣٦- المرجع نفسه

٣٧- SC، IRC. تقييم سبل العيش للاجئين السوريين في لبنان. بوابة البيانات التشغيلية للمفوضية. ٢٠١٢. https://data.unhcr.org/es/documents/details/٣٦٥٦٤.

إن النساء والأطفال (لبنانيون أو مهاجرون / لاجئون) يشكلون الفئة الأكثر تضرراً من النظام الزراعي الحالي. تشير التقديرات إلى أن ٦٠٪ من الأطفال العاملين في لبنان يعملون في قطاع الزراعة[٣٨]، وأن النساء يشكّلن ٤٣٪ من القوى العاملة الزراعية، ومع ذلك فهن غالباً ما يكسبن ثلثي إلى نصف الأجر الذي يحصل عليه الرجال. هذا هو الحال بشكل خاص بين جماعات النازحين في لبنان. وقد ورد في تقرير يوثّق الحالة السيئة للّاجئين السوريين في لبنان[٣٩] أنّه في الأسر التي تعيلها إناث (١٨٪ من أسر النازحين في لبنان)،غالباً ما تُجبَر النساء والفتيات على العمل في الزراعة[٤٠]. وفي نظام بطريركي رأسمالي[٤١]، تتحمّل العديد من النساء ضغوطاً إضافيّة بسبب جنسهن، مثل التحرّش والفوقيّة في التعامل. وهذا هو حال النساء الفلسطينيات اللواتي يشكّلن ٢٣٪ من إجمالي القوى العاملة بين اللاجئات في لبنان.

تصوير شارلوت جويرت

من الحيازات الزراعية تتطلّب عمالاً موسميين

من الأطفال العاملين في لبنان يعملون في قطاع الزراعة

من القوى العاملة الزراعية تتشكل من النساء

من القوى العاملة الزراعية في عكار تتألف من نازحين سوريين

٣٨- منظّمة الأغذية والزراعة واليونيسيف. عمالة الأطفال في الزراعة: من جانب الطلب. لبنان ٢٠١٩. https://www.unicef.org/lebanon/media/١٦٥٦/file/ChildLabour_FAO&UNICEF_٢٠١٩.pdf

٣٩- المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين ، واليونيسيف ، وبرنامج الأغذية العالمي. تقييم ضعف اللاجئين السوريين في لبنان. برنامج الأغذية العالمي، ٢٠١٨. https://www.wfp.org/publications/vulnerability-assessment-syrian-refugees-٢٠١٨-lebanon-vasyr

٤٠- نور تركماني وكنج حمادة. ديناميات اللاجئين السوريين في قطاع الزراعة في لبنان. البيانات المتاحة لبنان، ٢٠٢٠. https://www.opendatalebanon.org/wp-content/uploads/٢٠٢١/١١/٢٠٢٠١٥__dynamics_of_syrian_refugees_in_lebanon_agriculture_sector.pdf

٤١- لمى أبو خروب، بدنا نعيش، ورشة المعارف، ٢٠٢٢

نظرًا لأن معظم القوى العاملة الزراعية تعمل بشكل غير رسميّ، فإن قانون العمل لا يغطّيها، وبالتالي لا يمكن للعمّال أن يطالبوا بحقوقهم إلا عند تنظيمهم. غالبًا ما يلجأ المزارعين الصغار ومتوسّطو الحجم وعمّال المزارع إلى التعاونيات للتنظيم الجماعي من أجل تحسين ظروف عملهم، لكن هذا الأمر ما زال يمثل تحديًا في لبنان. في عام ٢٠١٨،كانت الأرقام تشير إلى أنّ حوالي ٤,٥ ٪ فقط من المزارعين هم أعضاء في تعاونيات[٤٢]. ويعزو رامي زريق، الأستاذ في الجامعة الأمريكية في بيروت، السبب إلى أنّ

"الناس لا يثقون بالتعاونيات لأن معظمها مرتبط مباشرة بالجماعات الطائفية المحلية."

تصوير شارلوت جوبيرت

٤٢- منظمة العمل الدولية. القطاع التعاوني في لبنان. منظمة العمل الدولية. ٢٠١٨. https://www.ilo.org/wcmspo groups/public/---/---ro-beirut/documents/publication/wcms pdf.٦٤٤٧٢٤_arabstates/

ويرى زريق أنّه من المستحيل تغيير النظام الغذائي ضمن نظام رأسمالي طائفي. بعبارات مختلفة، وعلى الرغم من أنّ التعاونيات هي إحدى أبرز وسائل التضييق على الحكم الرأسمالي من خلال منح السلطة للعمال،إلاّ أنّ مفعولَها يبقى محدوداً إذا وُجِدَت في بيئة طائفية تعزّز المنافسة على الموارد. يُنظر إلى التعاونيات في هذا الإطار على أنها أدوات للسلطة تعكس الانقسامات الطائفيّة المحليّة.

غالبًا ما يُنظر إلى التعاونيات أيضاً على أنها أدوات لتوجيه التمويل الحكومي والدوليّ، بدلاً من اعتبارها شركات مملوكة ومدارة بشكل جماعي من قبل الأعضاء[٤٣]. إلى جانب القضايا المتعلقة بالطائفية والتمويل، هناك تباين واضح بين القوانين المتعلقة بالتعاونيات وتطبيقها في الواقع. إذ على الرغم من أن القوانين المتعلقة بالتعاونيات في لبنان لا تميّز على أساس الجنسيّة أو الجنس، إلا أن الممارسة الواقعيّة غالبًا ما تكون مختلفة. يشاركنا بشار أبو سيفان من سيد إن إ بوكس Seed in a Boxتجربته قائلاً:

> **أردنا إنشاء تعاونية في البدّاوي تضمّ أعضاء فلسطينيين وسوريين. سألنا الوزارة وعادوا بالجواب قبل أشهر عدّة قائلين: لماذا لا تقومون بإنشاء تعاونية لبنانية وتدمجون فيها الفلسطينيين كعمّال؟**

بالإضافة إلى جانبها العنصريّ، يُظهِر هذا الجواب أنّه لا يمكن لبعض العمال-أو جميعهم- أن يكونوا جزءاً من الحوكمة ومن صنع القرار، بما يتناقض بشكل أساسي مع الفلسفة الكامنة وراء إنشاء التعاونيات.

توفّر المعلومات الواردة أعلاه لمحة موجزة عن قضايا العمل ومشاكل العنصريّة الجنسيّة في لبنان من حيث صلتها بالزراعة. إنها جوانب مهمّة تجدر مراعاتها عند البحث عن بدائل أكثر إنصافاً للنظام الغذائي اللبنانيّ.

٤٣- *منظمة الأغذية والزراعة والاتحاد الأوروبي ومركز التعاون الدولي في البحوث الزراعية من أجل التنمية. نبذة عن النظم الغذائية - لبنان. تحفيز التحول المستدام والشامل للنظم الغذائية. روما وبروكسل ومونبلييه ، فرنسا. ٢٠٢٢. https://doi.org/١٠.٤٦٦٠/cb٩٥٤٣en.*

٢.٤ ديناميات القوة الأخرى في سلسلة القيمة

يعتمد قطاع الزراعة في لبنان بشكل كبير علىالمبيدات والأسمدة المستوردة. بسبب الأزمة الاقتصادية وأزمة السيولة بالدولار، أصبح استيراد هذه المنتجات، والبذور، أكثر صعوبة. كما أصبح من المستحيل تقريبًا بالنسبة للمزارعين الصغار والمتوسطين تحمّل تكاليف المستلزماتالمستوردة، مما يجعلها في الغالب حكراً علىالمَزارع التجارية الكبيرة.

ما يعني أنّ عدداً محدوداً من الأفراد والشركات هذه يهيمن على المستلزمات الزراعية المستوردة (البذور والمبيدات الحيوية والأسمدة والمواد والمعدّات[٤٤]).

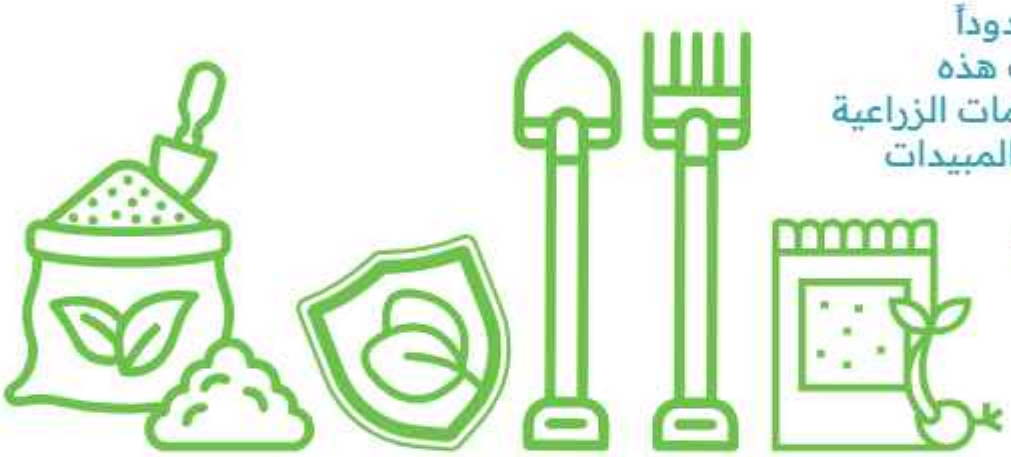

إنّ الحصول على هذه المستلزمات الباهظة الثمن يحتاج إلى دعم مالي، في حين أنّ التمويل الزراعي من القطاع الخاص والقروض المصرفية محدودان. وعليه، يبقى غالبية المزارعين، أي صغار المزارعين،مجرّدين من الخيارات سوى الحصول على قروض غير رسمية، يقدمها بصورة أساسيّة مقدمو المستلزمات أنفسهم (أي الصناعات الزراعية التي تتحكّم بالمستلزمات الزراعية مثل البذور والمبيدات الحشريّة ومبيدات الأعشاب). يتمّ تضمين هذه القروض فوائدَ جدّ مرتفعة، ويوجَب إيفاؤها في نهاية الموسم. لقد درجَت الصناعات الزراعيّة على اعتماد خطط التمويل غير العادلة منذ ما قبل الأزمة، حيث كان شراء ٩٠٪ من المستلزمات الزراعيّة يحصل عن طريق التسليف[٤٥]. يضع هذا التصرّف الصناعة الزراعية في وضعية القويّ،الأمر الذي يرتدّ سلباً على القطاع ويدفع صغار المزارعين إلى المزيد من التهميش بسبب الديون اللامتناهية.

٤٤- منظمة الأغذية والزراعة والاتحاد الأوروبي ومركز التعاون الدولي في البحوث الزراعية من أجل التنمية. نبذة عن النظم الغذائية - لبنان. تحفيز التحول المستدام والشامل للنظم الغذائية. روما وبروكسل ومونبلييه ، فرنسا. ٢٠٢٢. https://doi.org/١٠.٤٠٦٠/cb٩٥٤٣en

٤٥- عدن أو حسن وآخرون. تحليل سلسلة القيمة في سهل البقاع ، لبنان: «البطاطس والطماطم ومنتجات الألبان والأجبان». ٢٠١٨. ميل سيس. https://repo.mel.cgiar.org/handle/١١٦٦٦/٢٠٥٠٠/١٠٣٦

بالإضافة إلى تعذّر الوصول إلى سوق المستلزمات الزراعيّة، وفي غياب الخيارات البديلة، يضطرّ المزارعون إلى بيع منتجاتهم بالجملة في إطار نظام يفتقر إلى التنسيق والشفافيّة.

فآليات تحديد الأسعار المتّبعة من أسواق الجملة والوسطاء والسماسرة غير واضحة، ما يجعل موقف المزارعين التفاوضيّ ضعيفاً لا سيما أنّهم يعتمدون على تلك الجهات الفاعلة للوصول إلى المستهلكين. وعليه، غالباً ما يقبل المزارعونبأيّ سعر يعرضه عليهم الوسطاء لقاء منتجاتهم[٤٦]. بعبارة أخرى،يسيء الوسطاء استخدام سلطتهم على المزارعين في ظلّ غياب القوانين وحماية الدولة. فعلى سبيل المثال، يمتنع التجار عن إيفاء المزارعين حصة عادلة من الأرباح على منتجاتهم مع أنّهم يمتلكون وحدات تخزين مبرّدة تدرّ عليهم الأرباح خارج المواسم. ومن الشائع أيضًا أن يبلّغ الوسطاء المزارعين عن أرباح تقلّ قيمتها عن تلك التي تمّ تحقيقها فعليّاً[٤٧]. كما تنصّ الاتفاقيات غير الرسمية بين المزارعين والتجار على حصول هؤلاء على ١٠٪ من إجمالي الإيرادات مقابل بيع المنتجات في سوق الجملة. وتعرض إحدى الدراسات هذه الديناميّات وتُظهر كيفيّة استغلال المزارعين، لا سيما من خلال الزيادات المرحليّة علىكلفة المنتجات الطازجة عندمرورها في سلسلة القيمة المحلية البسيطة (من المزارع إلى تاجر الجملة إلى المستهلك) في لبنان.

وتوصّل التقييم إلى أن المزارعين لديهم في معظم الأحيان تصوّر ضعيف للقيمة[٤٨]. علاوة على ذلك، فإن ظاهرة الاحتكار بين هذه الجهات الفاعلة المختلفة (تجار،وسطاء، مستوردون) تهيمن على سوق المبيعات الزراعية[٤٩]. وبالتالي، فإن الاتصالات مع تلك الفعاليات هي شرط أساسي مسبق لنجاح المشاريع في القطاع.

٤٦- مارك رويجس، تحليل سلسلة القيمة للخضروات (الدفيئة) في لبنان، Wageningen Economic Research، ٢٠١٧، https://edepot.wur.nl/٤٢٥٩٢٤.

٤٧- نانالي علام ، الزراعة مثل القمار : فحص تدهور الزراعة الإنتاجية في سهل البقاع الأوسط في لبنان، معارضة دكتوراه ، جامعة جورج واشنطن ، ٢٠١١.

٤٨- رولان رياشي، نظام الزراعة والغذاء في إطار المهمة المائية اللبنانية، المجلات المفتوحة الإصدار ٢٠١٢ https: //doi.org/١٠,٤٠٠٠/mediterranean.١٤٧.

٤٩- منظمة الأغذية والزراعة والاتحاد الأوروبي ومركز التعاون الدولي في البحوث الزراعية من أجل التنمية، نبذة عن النظم الغذائية - لبنان، تحفيز التحول المستدام والشامل للنظم الغذائية، روما وبروكسل ومونبلييه ، فرنسا، ٢٠٢٢، https://doi.org/١٠,٤٠٦٠/cb٩٥٤٣en

إنّ مختلف ديناميكيات القوة المعروضة أعلاه لا تختلف عن الديناميكيات الزراعية في جميع أنحاء العالم. تعتمد سبل عيش ونوعية حياة المليارات من الناس على الموارد التي توفّرها الأرض[٥٠]، ومع ذلك تستمر مصالح الشركات في النظام الغذائي في التعدّي على أفقر الشعوب. وفقًا لمنظمة الفاو، يعيش ثلاثة من بين كل أربعة من أفقر سكان العالم في المناطق الريفية، ويعتمدون في معيشتهم على الزراعة والأنشطة ذات الصلة[٥١]. الزراعة أساسية في توفير الغذاء ولكنّها أيضًا شيء يحمل الثقافة والهويّة. بعبارة أخرى، فإن استبدال الممارسات الريفية التقليدية، وتهميش سبل العيش هذه لا يهدّد فقط توافر الطعام. إنّ الطريقة التي نتعامل بها مع أراضينا تحدّد مدى قدرتنا على تجديد النظم البيئية، وضمان استمراريّة البشريّة. ومع ذلك، فإنّ طريقة توزيع الأراضي تُظهِر عدم مساواة عميقة تهدّد الاستدامة الاجتماعية والبيئية.

"تتشارك حوالي ٨٤٪ من المزارع ١٢٪ من إجمالي مساحة الأراضي الزراعية، بينما تسيطر ١٦٪ فقط من المزارع على الـ ٨٨٪ المتبقية. في معظم البلدان غير المتكافئة، يتحكم أقل من ١٪ من مالكي الأراضي بنسبة ٥٠٪ أو أكثر من الأراضي الزراعية."[٥٢]

وفقًا للتحالف الدولي للأراضي

تصوير جيني جوستافسون

٥٠- أرانتشا غوارانا ومارك ويغيريف - وثيقة الزراعة غير المتكافئة للأراضي. مبادرة المركز الدولي للعمالة- ليحوث عدم المساواة في الأراضي. ٢٠١٩.

٥١- منظّمة الأغذية والزراعة- حالة الأغذية والزراعة: تغير المناخ والزراعة والأمن الغذائي. الفاو. ٢٠١٦. https://www.fao.org/٦٥٨٥٣bcc٣٧-٤٩٧e-a٣bb-b١٧٧-٦doe-d١٤/documents/card/en/c/.

٥٢- أرانتشا غوارانا ومارك ويغيريف - وثيقة الزراعة غير المتكافئة للأراضي. مبادرة المركز الدولي للعمالة- ليحوث عدم المساواة في الأراضي. ٢٠١٩.

ومع السيطرة المستمرّة لكبار مالكي الأراضي وشركات الصناعات الغذائية، باتت الأراضي الزراعية وسيلة مربحة للمستثمرين والمساهمين. إنّ هذا الواقع يُبعِد المزارعين عن عمليّة اتّخاذ القرار،بما يرتدّ بتداعيات هامّة على الأمن الغذائي والسيادة الغذائية.

إنّ أساس مشكلة النظام الغذائيّ تكمن في الاعتراف بعدم التكافؤ بين الجهات الفاعلة المشاركة في هذه التبادلات. يؤدي هذا إلى المزيد من عدم المساواة والظلم الاجتماعي، مما يؤدي أيضاً إلى تحويل الفلاحين إلى عمّال في أراضيهم من خلال إخضاعهم لأطر الهيمنةفي الأعمال التجارية الزراعية العالمية وتجمّع رأس المال.[٥٣]

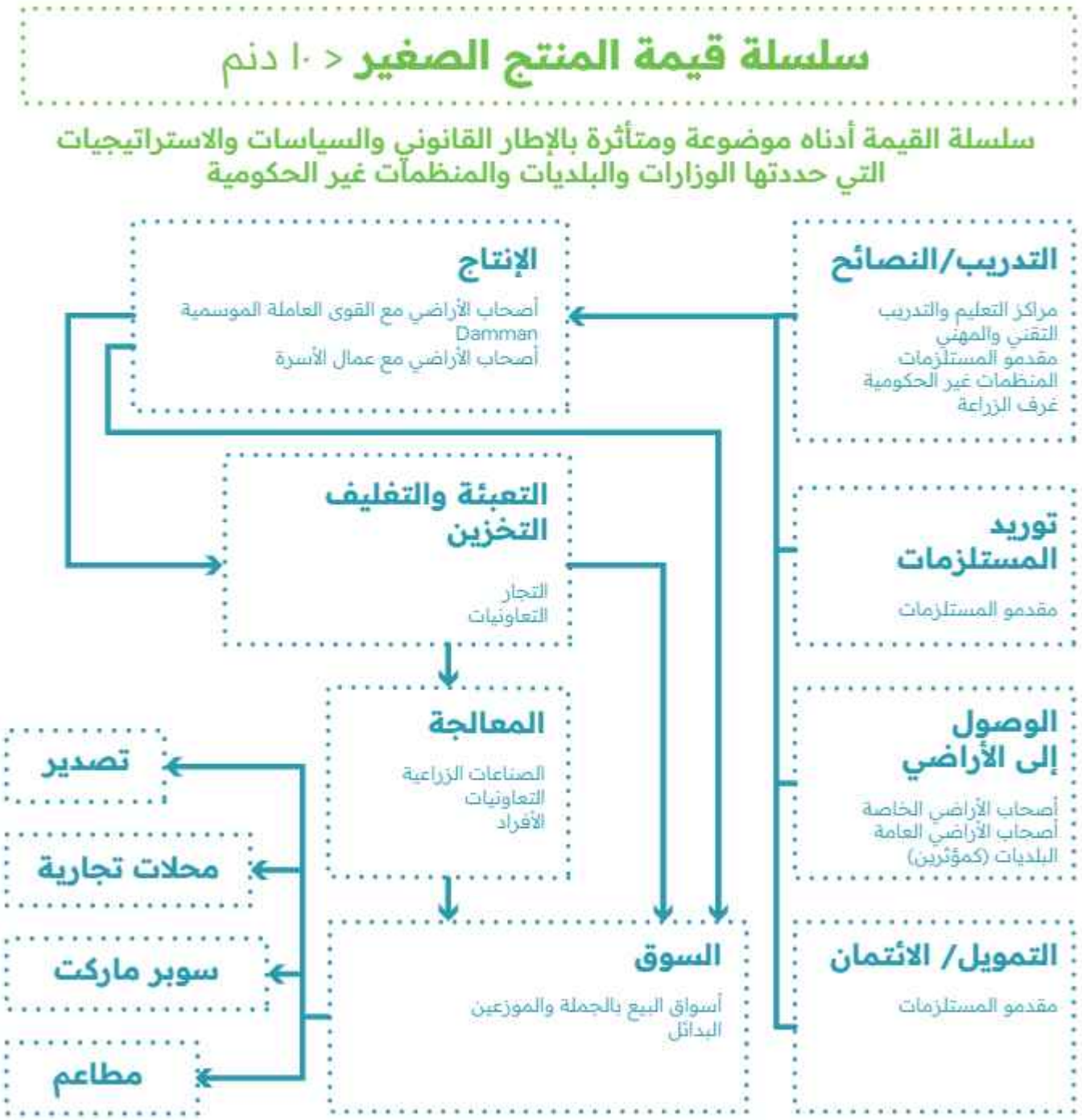

٥٣- كوجو أمانور وسيرجيو تشيتشافا. التعاون بين دول الجنوب،والأعمال التجارية الزراعية ،والتنمية الزراعية الأفريقية: البرازيل والصين في غانا وموزمبيق. العلوم المباشرة. ٢٠١٦. https://doi.org/١٠,١٠٦/j.worlddev/١,١٠٦,٢٠١٥,١١,٢١.

٢.٥ الآثار البيئية

تزايدت المحادثات حول تغيّر المناخ مؤخرًا وأظهرَت مدى أهمية بناء نظام غذائي أكثر مرونة. يتعرض العديد من المزارعين التقليديين للخطر، حيث يعتمدون غالبًا على محصول من نوعٍ واحد للموسم بأكمله، ويعتمدون على الصناعات الزراعية الكبيرة للحصول على المستلزمات الكيميائية والبذور الهجينة. إن نقص التنوع في الزراعة معطوف على الاعتماد على الواردات يجعل النظام الغذائي الحالي هشًا للغاية وعرضة للطوارئ الخارجية. إن ارتفاع معدلات انعدام الأمن الغذائي والاجتماعي، وتدهور الموارد الطبيعية، والاعتماد الكبير على الواردات في المستلزمات الزراعية والمواد الغذائية الأساسية، كلها مؤشرات على الحاجة الملحة إلى بدائل، وإلى تشكيل تحالفات تكمّل بعضها البعض كجهات فاعلة في النظام الغذائي.

إنّ مقدّمي المستلزمات هم مرجع المزارعين الرئيسيّ في النصح والإرشاد، مع أنّ آراءهم قد تحمل بعض التحيّز نظراً لمصلحتهم في بيع المبيدات الحشرية والأسمدة الكيماوية، من بين أمور أخرى[٥٤]. وبنتيجته، يعاني القطاع في لبنان من سوء إدارة الأراضي والتربة، وهو يُظهر اعلى المعدلات العالميّة في استخدام الأسمدة والمبيدات في الهكتار الواحد[٥٥]. لقد لعب مقدّمو المستلزمات-في ظل غياب السياسات التنظيمية وأنظمة المراقبة- دوراً رئيسيّاً في الإفراط من استخدام هذه المواد.

عندما يتعلق الأمر بإدارة المياه فإن قطاع الزراعة هو الاكثر استهلاكاً للمياه في لبنان[٥٦]، لكنّ سوء الإدارة وانعدام فعالية أنظمة الريّ يؤدّيان إلى زيادة الإجهاد المائي.كذلك ساهم سوء ادارة الموارد وعدم استدامتها في تدهور جودة المنتجات الزراعية، وانخفاض هوامش ربح المزارعين، وإضعاف هذا القطاع ككل.

إلى جانب مسألة المياه، يظهر مورد آخر لا يقلّ اهمّية ويجب أخذه في الحسبان، وهو الطاقة. تتوزع مصادر الطاقة للإنتاج الزراعي ٧٠ ٪منها من المازوت و٣٠٪ من البنزين[٥٧]. مع الأزمة المالية وأزمة الطاقة في جميع أنحاء العالم ارتفعت كلفة الوقود، ممّا ترك العديد من المزارعين أمام استحالة ريّ حقولهم نظراً لارتفاع تكاليف النقل. وأيضاً، يتكبّد المزارعون أيضًا نفقات أساسية أخرى مثل صيانة الآلات أو استئجار الآلات التي لا يمتلكونها.

يجري الحديث مؤخراً عن تغيير في المناخ، ما يسلّط الضوء على ضرورة بناء نظام غذائي أكثر مرونة. وقد غدَت معيشة العديد من المزارعين في خطر نظراً لاعتمادهم على المحاصيل الأحادية النوع في الموسم الواحد، وعلى شركات الصناعة الزراعية من أجل الحصول على المستلزمات الكيميائية والبذور الهجينة.

يؤدي النقص في التنوّع الزراعيّ والإعتماد على الواردات الى إضعاف النظام الغذائي وإلى جعلِه رهينةً للطوارئ الخارجية.

إن ارتفاع معدلات انعدام الأمن الغذائي والاجتماعي، والتدهور في الموارد الطبيعية، كما الاعتماد الكبير على الواردات في المستلزمات الزراعية والسلع الغذائية الأساسية كلّها مؤشرات تدل على الحاجة الملحّة للبدائل، والى ضرورة إنشاء تحالفات تكمّل بعضُها بعضاً كجهّات فاعلة في النظام الغذائي.

٥٤- عدن أو حسن وآخرون. تحليل سلسلة القيمة في سهل البقاع ، لبنان: «البطاطس والطماطم ومنتجات الألبان والأجبان». ٢٠١٨. ميل سبيس. https://repo.mel.cgiar.org/handle/١١٧٦/٢٠٥٠٠/١٠٣٦.

٥٥- منظّمة الأغذية والزراعة وإحصاءاتها: http://www.fao.org/faostat/en/#data. (تمّت زيارته في ٣ سبتمبر)

٥٦- وزارة الزراعة. الاستراتيجية الوطنية للزراعة في لبنان - الاستراتيجية الوطنية ٢٠٢٠-٢٠٢٥. http://www.agriculture.gov.lb/lang=ar-LB?pdf.VSep٢٠٢٠-NAS-web-Eng/٢٠٢٥-٢٠٢٠-getattachment/Ministry/Ministry-Strategy/strategy

٥٧- منظّمة الأغذية والزراعة. معالجة تحديات الأمن الغذائي في لبنان: نهج ترابط بين المياه والطاقة والغذاء والصحة. الفاو. ٢٠٢١. https://www.fao.org/publications/card/en/c/CBٍ٤٢-٣EN/.

III. ماذا يحصل في لبنان اليوم؟

يرتبط واقع الزراعة البيئية في لبنان اليوم بصورة اساسيّة بالمعوّقات التي يواجهها القطاع الزراعي، والتي شرحناها بإسهاب في الفقرة السابقة.وسنحاول في الفقرة اللاحقة عرض مختلف المشاريع التي تنشر حالياً الزراعة البيئية في لبنان، وذلك عبر النظر:

اولاً، الى الدافع خلف العمل على الزراعة البيئية؛

وثانياً، الى ماهية العمل الذي يقوم بهالناشطون/المبادرون،

وثالثاً، الى كيفيّة إجراء هذا العمل.

تصوير شارلوت جوبيرت

٣.١ لماذا أطلق هؤلاء الأشخاص مبادراتهم؟

على الرغم من أنّ جميع أصحاب المشاريع التي تسوّق للزراعة البيئية عبّروا عن إيمانهم بقدرة مشاريعهم على إحداث تغيير إيجابيّ في نظامنا الغذائي، إلا انّهم لم يتناولوا جميعهم الزراعة البيئية من نفس المنظار.

اما الدافع خلف استعمال الزراعة البيئية كوسيلة، او خلف نشر حسناتها، فيعتمد بصورة اساسيّة على طبيعة العمل الذي يقوم به الناشطون بالإضافة إلى خلفياتهم وقيمهم الأساسية.

بعضهم يرى الزراعة البيئية مساراً طبيعيا للعمل الزراعي وللرغبة في تجاوز أزمات هذا القطاع، فيما ينظر آخرين للزراعة البيئية على انّها وسيلة إجتماعية وسياسية للمطالبة بالحقّ في الارض ولإحلال العدالة الإجتماعية. ويرى البعض أيضاً انّ الزراعة البيئية هي وسيلة مؤقتة لتخطّي الأزمة الراهنة.

نحيي الأرض - صيدا

أ. قلق حيال القطاع الزراعي وصحة المزارعين

قرّر الأفراد القادمون من المجال الزراعي- سواء المجال النظري أو التطبيقي -أن يدمجوا الزراعة البيئية في عملهم بعد أن شهدوا أضرار الزراعة التقليدية على المزارعين أنفسهم، وعلى البيئة، وجودة الغذاء.

كان خالد سليم أول من عبّر عن هذا الأمر من بين مَن قابلناهم: **«أنا مهندس زراعيّ، وبدأت مسيرتي المهنيّة مثل العديد من زملائي، في العمل لصالح شركة تبيع، فيما تبيعه، المبيدات الحشرية والأسمدة الكيميائية».**

عمل سليم في هذه الشركة أربع سنوات قبل أن يقرّر ترك العمل. **«كان مدير الشركة يطلب منّا القيام بالدراسات والإستقصاءات. أحد المزارعين كان يزرع الخيار، ويقوم برشّه ثلاث مرّات في الأسبوع، ثم ينقل المحصول لبيعه في الأسواق. هذا الامر دفعني الى الجنون».**

وعبّر بشّار ابو سيفان من Seed in a boxعن قلقه من مفاعيل الكيميائيات على صحة المزارع وليس فقط على الأرض وعلى جودة الغذاء، فقال **«يعاني المزارعون من مشاكل في أعينهم بسبب مادة الغليفوسات».**

ويترافق القلق مع إمتعاض من المؤسّسات التي تتابع، لا بل تشجّع، استعمال المبيدات الحشريّة على الرغم من آثارها السلبيّة.يتابع ابو سعيفان بالقول **«انا لا افهم القطاع الزراعي لبنان، ولا افهم لماذا لم تقم أيّ منظّمة بتسليط الضوء على مفاعيل المبيدات على الصحة البشريّة».** وشرح ابو سيفان وزميلته سارة سلّوم انّهم تحدّثوا الى أحد أعضاء مجلس أمناء الجامعة الأمريكية في بيروت وأعلمهم انّ تعليم الطلّاب يجري من وجهة نظر منتجي المستلزمات الزراعية. كما شاركت سلّوم رأيها **«هم لا يرون الرابط بين المشكلة ومقدّمي المستلزمات. إنّ المهندسين الزراعيين مقتنعون بأهمّية المبيدات الحشريّة والعشبيّة».**

ولأماني داغر من منظّمة Soils Permaculture رأي مشابه عن النظام التعليمي **«كنت مهتمّة بالمواضيع البيئية لكنّني علمت انّ المناهج التعليميّة الجامعية المتعلّقة بالزراعة لا تناسب تطلعاتي لذلك لم أدرس الزراعة، وبحثْت عن البدائل على الانترنت»** ومع ذلك، توجد فسحة من الأمل للزراعة البيئية في نظام الجامعة اللبنانية.

صحيح أنّ خالد سليم قد جنح بعد تخرّجه من الجامعة نحو الصناعة الزراعية، الّا انّ هذا المضمار هو الذي دفعه نحو البدائل **«منذ دراستي الجامعيّة وانا مقتنع بأنّه يمكن القيام بالامور بصورة مختلفة. وهذا يعود الى انّ أحد الاساتذة، دكتور رامي زريق، جعلني أفكّر وأتأمّل في موضوع التربة».**

يتشارك سيرج حرفوش من بذورنا جذورنا هذا القلق على البيئة وعلى صحة المزارعين. في منظّمتهم يحاولون ممارسة الزراعة **«بأنظف طريقة ممكنة، بدون مواد كيميائية، وبأقلّ تدخل ممكن في التربة»** لأنه، كما يقول، **«الاهتمام بالنظام البيئي يعني أيضًا الاهتمام بالأشخاص الذين يعتنون به».** يربط كل من حرفوش وداغر من Soils صحة المزارعين باستقلاليتهم عن سيطرة مقدّمي المستلزمات **«إنتاج البذور يحتاج إلى استقلالية. إذا لم يكن لديك بذورفلن يكون لديك فرصة للبقاء على قيد الحياة».** يتفّق الأشخاص الذين تمّت مقابلتهم من Seed in a Box على هذه النقطة، وهم يرون أن ديون المزارع هي المشكلة الرئيسية التي يحاولون معالجتها. إلى جانب القلق بشأن الوضع الاقتصادي للمزارعين واستقلاليتهم، عبّر الأشخاص الذين تمّت مقابلتهم عن قلقهم بشأن قطاع الزراعة بشكل عام، هذا القطاع الذي يعتمد بشكل كبير على الصادرات والواردات. صرّحَت أماني داغر من منظمة Soils غير الحكومية أن الهدف النهائي هو **«إنهاء الاعتماد على كل ما نستورده من الخارج: المعرفة والبذور والمستلزمات».** وبالمثل، عبّرت سارة سلوم من جمعيّة Agrimovement عن أن القطاع بحاجة إلى التوقف عن استيراد المنتجات المحلية **«هدفنا هو أن يقوم كلاً من المزارع والمستهلك بسلوكيات بيئية مستدامة. للحفاظ على البيئة وعلى الكائنات الحية الدقيقة».**

تصوير شارلوت جوبيرت

ب. الزراعة البيئية كأداة للعمل من أجل العدالة الاجتماعية

لم تتوافر الخبرة السابقة في الزراعة البيئية لدى كل الناشطين الذين تمّت مقابلتهم. في الواقع، دخل بعضهم مجال الزراعة البيئية أثناء عملهم على قضية سياسية أو اجتماعية. الشيخ حسن من مبادرة نحيي الأرض - حديقة بيئية زراعية مجتمعية تدار بشكل تعاوني في صيدا - هو إحدى تلك الحالات. وقد قام بالتعاون مع مجموعة من الناشطين المُدُنييناوالاجتماعيين في المنطقة بإطلاق مبادرة «ليل المدينة»، وهي مبادرة شعبية تقوم بتنفيذ أعمال وبحوث حول القضايا المُدُنية التي تهمّ أبناء صيدا. دار أحد مواضيع هذه المبادرة حول التغيّرات في المدينة، والتهديد بفقدان الأراضي الزراعية لصالح الإستثمار العقاريّ، وأهمية الأرض كملكية عامة.

كانوا قبل العام ٢٠١٩ وتحقيقاً لأهدافهم، ينشرونالمعرفة وينظّمون الرحلاتوالنقاشات العامةوالاجتماعات مع سكّان صيدا. ومع ذلك، يرى الشيخ حسن أنّ أنشطتهم السابقة لم تجذب جمهوراً واسعاً في صيدا

«إنّ القضايا المتعلقة بحماية البيئة تتطلّب مساحات واسعة كما الحاجة إلى مواجهة التنظيم المُدُني. لقد نجحت المجموعة في التأثير فيا لمثقفين،لكنّ الأثر يبقى هامشياً، سيما إذا كان الهدف منه هو تغيير الرأي العام». وأضاف أنّ مشاركتهم في حملات تهدف إلى تغيير السياسات العامة لم تأتِ سوى بتغيير ضئيل للغاية.

وفقًا للشيخ حسن، هكذا بدأ مشروع الحديقة المجتمعية في صيدا، فقد رأوا فيها **«فرصة لتواصل الناس مباشرةً مع الأرض، وليس فقط لإجراء مناقشات فكرية ونظريّة حول أهمية المساحات الواسعة غير المبنية في المدينة. هذا من شأنه أن يغيّر وجهة نظر الكثير من الناس بشأن القضايا المتعلقة بالأراضي. لذلك كانت حديقة نحيي الأرض المجتمعية وسيلة لإعادة الزراعة إلى المدينة، على قطعة من الأرض كان من الممكن استعمالها كملكية عقارية».**

هذا ما جرى أيضاً في «حدائق البداوي»، وهو مشروع أطلقَتهSeed in a Box في شمال لبنان. لقد تعاونوا في هذا المشروع مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، وجمعية عامل، وبلدية المنطقة لتحويل حقل مهجور في البداوي إلى حديقة مجتمعية.لا يقتصر الخوف من فقدان الأراضي الزراعية والممارسات الزراعية المحلية على المدن. بل أعرب جمال حسن أيضاً، وهو مهندس بيئي من قرية بتلون في قضاء الشوف، عن المخاوف نفسها. وبحسب جمال،إنّ المزارعين يبيعون أراضيهم لأنّ الزراعة لم تعد توفّر ما كانت توفّره من الدخل. ومن هنا يرى أنّ دعم الفلاحين من خلال تعاونية بتلون هو وسيلة للمحافظة على الزراعة وعلى الأراضي الزراعيّة في القرية، وتجذير المزارعين فيها.

هدف آخر تعمل عليه العديد من المبادرات التي جرّت مقابلتها هو حقّ الوصول الى الأراضي لمن هم عادةً من المهمّشين. تضمّ جماعةنحيي الأرض، وجماعة حدائق البداوي، عددًا كبيرًا من اللاجئين الفلسطينيين المقيمين في المدينة ومخيّماتها. يُمنع على اللاجئين الفلسطينيين في لبنان إمتلاكالعقارات، وبالتالي عملهم في الزراعة يقتصر على كونهم جزءاً من اليد العاملة. في نحييالأرض وحدائق البداوي في الشمال، يُعتبر الفلسطينيون جزءًا من الجماعة، ويتمتعون بحق الوصول إلى الأرض ومواردها بشكل متساوٍ مع اللبنانيين. علاوة على ذلك، يستهدف مشروع حديقة البداوي على وجه التحديد فئتَيالنساء والأعمار الشبابيّة، على اعتبار أنّ حقّ كلا الفئتين في الوصول الى الأراضي محدود.

مشروع آخر يحاول أيضًا إتاحة الأراضي للمهمّشين هو مشروع رزق ووفا. في هذا المشروع تتقاسم مجموعة من العائلات السورية أرضًا لزراعة الخضروات العضوية من أجل استهلاكهم الخاص. تمّ إطلاق المشروع للمرّة الأولى من قبل بذورنا جذورنا مما سهّل عليهم التدريب، وكذلك الوصول إلى الأراضي والموارد. وفيما لا يزال يتلقى دعم الجمعية، أصبح الآن مشروعًا مستقلّاً للزراعة البيئيّة تديره العائلات السورية المعنية.

ت. إغتنام اللّحظة: التعلّم من الأزمة

إنّ الأزمة الراهنة (الأزمة الإقتصادية في لبنان) كانت أحد العوامل التي حثّت الناشطين في مجال الزراعة البيئية على المضي قِدَماً في مشاريعهم. يقول الشيخ حسن من مبادرة نحيي الأرض أنّ **«الأزمة الإقتصادية أتاحَت لنا الفرصة لمناقشة هذه المواضيع (الزراعة البيئية والسيادة الغذائية)، فقد كان الأمر متعذّراً من قبل».** تمّ تأسيس حديقة نحيي الأرض المجتمعية في العام ٢٠٢٠، بعد أن اتّفق المؤسّسون مع مالكها أن يقوموا بزراعتها مقابل نسبة من المحاصيل الزراعيّة. بحسب الشيخ حسن: **«لم يكن المالك ليقدّمَ الأرض قبلَ الأزمة، بل لَكان شيّد عليها الأبنية بدلاً من ذلك».** وهو يعتبر أنّ **«الوقت الحالي هو الأنسب من أجل تطوير نماذج مثل نحيي الأرض، وإشراك الشعب في مشاريع تعزّز السيادة الغذائية».**

مبادرة أخرى وُلِدَت من رحم معاناة المزارعين في ظلّ الازمات: بذورُنا جذورُنا.إنّ هذه الجمعية التي تضمّ اليوم مزارعين لبنانيين وسوريين وفرنسيين، والتي يتمحور عملُها حول إنتاج البذور المتوارثة، هي مستوحاة من أحداث سوريا.

يقول سيرج حرفوش أحد أعضاء المبادرة، انّ معاناة الساكنين في مخيّم اليرموك الفلسطينيّ مع الحصول على البذور خلال الحصار عليهم، هو ما أوصلهم إلى ما هم عليه اليوم.شرح حرفوش انّه خلال حصار اليرموك **«تعذّر إدخال السلع وإخراجها، وكاد السكّان يموتون من الجوع، ومنهم مَن مات فعلاً.وهنا، قام بعض سكّان المخيّم بتأهيل مساحات محليّة وقاموا بزراعتها. حاولَت العديد من المنظّمات تزويدهم بالبذور عن طريق التهريب، ومن هنا انطلقَت الحاجة الى بذور قابلة للتناسل[٥٨]».** وعند مراجعة تلك الوقائع، تيقّن مؤسّسو بذورنا جذورنا انّ الحالة طارئة تدعو لامتلاك بذور قابلة للتناسل، غير مُحتكرة وغير مُسَيطر عليها من الشركات التجارية.

إنّ الرواية التي شاركها معنا حرفوش تُظهر أنّ الزراعة البيئية في لبنان ليست معزولة، بل تنتمي الى حركة عالمية ذات نطاق واسع. وبنفس المعنى، أطلعنا العديد ممّن جرَت مقابلتهم أنّهم عرفوا بالزراعة البيئية من خلال أشخاص قدموا من الخارج، وأنّ هذا ما دفعهم الى دخول المجال.

٥٨- أنيا سيزادلو. حديقة تنمو وسط الأخطار اليومية للحصار في سوريا. الجزيرة أمريكا. ٢٠١٥.
http://america.aljazeera.com/articles/٢٠١٥/٥/١٨/a-garden-grows-amid-a-siege-in-syria.html

تصوير شارلوت جوبيرت

فقد ذكر سليم على سبيل المثال انّه قابل الكاتب بول وتشاوسكي paul Wotjowski الذي تناول في العديد من مؤلّفاته موضوع الزراعة البيئية، عندما حضر الأخير الى لبنان للتطوّع في تدريب المزارعين. حينها اكتشف سليم مفهوم الزراعة البيئية واقتنع به.كذلك حصل مع رمزي بو صعب، وهو مزارع من الشوف. فقد قال أنّه سمع بمفهوم الزراعة البيئية للمرة الاولى عندما دعَت محميّة الشوف الحيوية نخبة من الخبراء الأجانب للتعليم عن الزراعة المستدامة والأسمدة العضوية.

٣.٢ ماذا يفعل الناشطون؟

تمهيداً لتحوّلنا الى نظام غذائي أكثر صلابة واستقلالاً، يقوم الناشطون في مجال الزراعة البيئية في لبنان بسلسلة من النشاطات يمكن تصنيفها ضمن خمس فئات رئيسية: إنتاج مستلزمات زراعية مستدامة، التواصل والتعاون، التدريب ونشر المعرفة، البيع والتسويق، والتنظير والبحث.

أ. إنتاج مستلزمات زراعية مستدامة:

إنّ تقديم بدائل مستدامة للمستلزمات الزراعية المُصنّعة الباهظة الثمن هو من أساسيات التحوّل الى نظام غذائي أكثر استدامة.على الرغم من الازمة الإقتصادية الراهنة، يقوم لبنان باستيراد ما تبلغ قيمته ٩٥ مليون دولار من الأسمدة الصناعية، والمبيدات، والبذور[٥٩]. خمسة من أصل ١٢ ناشطاً وناشطة جرّت مقابلتهم يشاركون في هذا النشاط الاستيراديّ.

بالنسبة الى المنظّمات والمبادرات، تقوم بذورنا جذورنا، وsoils association وseed in a boxجميعها بإنتاج المستلزمات الزراعية المستدامة وبدعم مقدّمي المستلزمات.تقوم بذورنا جذورنا بإنتاج البذور المتوارثة مفتوحة التلقيح وبجعلها متاحة للعامّة. يقول سيرج حرفوش **««ثمّ اكتشفنا الحاجة الى نشر المعرفة بصورة سلسة ومتاحة، فأضفنا الى منتجاتنا انتاج الأسمدة الحيويّة، وهكذا دواليك، حتى اكتمال العناصر الاربعة الأساسية».** يقصد بالعناصر الاربعة من المستلزمات الزراعية:البذور، والشتلات، والسماد العضوي،والأسمدة الحيويّة.جميعها أساسيّ من أجل دعم المزارعين في تحوّلهم الى الزراعة البيئية. اليوم تهدف بذورنا جذورنا الى دعم اربعة مزارع لبنانية، وانتاج عنصر واحد من العناصر لكلّ مزرعة على حدة.

٥٩- جروندييه ، حمادة ، ٢٠٢٠: مذكرة تشخيصية - الزراعة اللبنانية في أزمة بقلم فيليب جروندييه وكنج حمادة للوكالة الفرنسية للتنمية

تصوير شارلوت جوبيرت

وبالمثل، كانت اولى نشاطات Seed in a box انتاج البذور المتوارثة، وقد قاموا بإنشاء مشتل في البدّاوي، شمال لبنان، حيث كانوا يزرعون الشتول ويبيعونها الى سكّان المنطقة. كما يخطّطون لإنتاج المبيدات والاسمدة الحيوية (السماد العضوي، المحلولات المخمّرة)، بالتعاون مع إحدى البلديات.

وتعملsoils Permaculture على انتاج المستلزمات محليّاً.عبر التركيز على البذور المتوارثة والسماد العضوي، تدعم الجمعية الأفراد الذين ينتجون تعديلات للتربة كهذه.

وتقوم الجمعية في صيدون حيث مركزها، بمساعدة السكّان على المحافظة على البذور المتوارثة.

تشرح اماني داغر إحدى أعضاء المجموعة، كيف يقومون «بالتدريب على استخراج البذور، وانتاجها والمحافظة عليها، والخطوة الاخيرة تكمن في إنشاء مخزن للبذور يتمّ في اطاره التبادل فيما بينها».

في رأيهم، إنّ المحافظة على بذور الفلاحة، ونشر المعرفة بين سكّان المحلّة هما نقطة البداية نحو السيادة الغذائية.

إنّ الإنتاج المحلّي للمستلزمات الزراعية ليس حكراً على المنظّمات غير الحكومية. ففارس زيدان، أحد مزارعي البساتين في معاصر الشوف، يُنتِج المبيدات العضوية باستعمال وسيلة التقطير العطريّ.لقد تلقّن معظم وصفاته من آبائه وأجداده، وقام بصقلها مع مرور السنوات. كما ينشر المعرفة على المزارعين من حوله ليبدأوا بزراعة العطريّات في حقولهم، وباستعمالها كمبيدات وأسمدة طبيعيّة.

أما نحيي الارض، الحديقة المجتمعية بصيدا، فقد قام عدد صغير من اعضائها بإنشاء تعاونية خاصة بهم لإنتاج البذور والشتول، واستخراجها من المحاصيل التي تنبت في الحديقة.

ب. التشبيك والتعاون

تبيّن من المقابلات أنّ القاسم المشترك بين معظم الناشطين في مجال الزراعة البيئية هو حماسهم للتحرّك، وإنشاء شبكات وتعزيز التعاون. وازدادَ حماسهم بعد ثورة تشرين ٢٠١٩، حيث تمّ تنظيم العديد من المحادثا توالنشاطاتلمعالجةقضيةالسيادةالغذائية،والحاجةإلىوجودحركةتد عمالزراعةالمستدامة. أظهربحثناأنالتعاونيحدثعلىالمستوىالمحلي (فيمدنأومناطقمعينة) كماعلىالمستوىالوطني.

النهج التعاوني هو جوهر حركة الزراعة البيئية. وبحسب أماني داغر من جمعية Soils Permaculture Association، **«لا يرتدّ التعاون مع الآخرين إلاّ بالمنافع على المزارع. وهذا جزء من فلسفة الزراعة البيئية».** تأسيساً على هذه الفلسفة، وبمساعدة سعد داغر - مزارع وناشط بيئيّ فلسطيني - دعا أعضاء Soils إلى لقاء في أيلول ٢٠٢٢ في نحيي الأرض في صيدا، لبدء حركة يقودها المزارعون باسم «منتدى الزراعة البيئية» . تم جمع العديد من الأفراد الذين يمارسون الزراعة البيئية في لبنان معًا للتفكير في كيفية إيجاد بدائل للنظام الحالي، والعمل معًا لتبادل المعرفة والخبرة، والانتقال إلى نظام غذائي أكثر مرونة من خلال الزراعة البيئية.

نحيي الأرض - صيدا

وبالمثل، قام العديد من الناشطين بتنفيذ مشاريع عدّة تتمحور حول التعاون بين المزارعين.إحداها كان بذورنا جذورنا. بعد خمسة أعوام على العمل كمنتجين للبذور المتوارثة في سعدنايل في البقاع، قاموا بإنشاء شبكة خاصة بإنتاج البذور في مطلع ربيع ٢٠٢٢، وذلك بالتعاون مع خمسة مزارع أخرى.

كان الهدف إلغاء تمركز إنتاج البذور في البقاع عبر توزيعه على مختلف المناطق اللبنانيّة. لقد قاموا باختيار خمسة مزارع تمارس الزراعة البيئية أو في صدد الإنتقال إلى هذا النوع من الزراعة، وأطلقوا سلسلة من ورش العمل والتدريبات. يلمّح حرفوش **«إلى أنّ الخطوة التعزيزيّة الاولى هي أن ننشئ شبكة لمنتجي البذور، فهذا يدخل في صلب كفاءتنا. نحن نعرف البذور، إذاً فلنقم بمضاعفة كمّياتها ونشرها على نطاق أوسع».**

في أيلول ٢٠٢٢، نظّمت الجماعة مهرجان البذور في مزرعتهم في سعدنايل في البقاع.

مع أنّ الهدف الأساسيّ للمناسبة كان الإحتفال بالبذور المتوارثة، تركّزت الأحاديث والعروض على التنظيم الجماعيّ. وشكّلت المناسبة فرصة رائعة لجمع الأفراد مع بعضهم البعض كما التواصل مع محترفين من دول عديدة مثل فرنسا وفلسطين.

وتقومSeed in a boxفي شمال لبنان بتعزيز إنشاء الشبكات والتعاون. في العام ٢٠١٨ أنشئوا شبكة لإنتاج البذور المتوارثة مع جمعيّة تُدعى «جفرا»، وبمشاركة مؤسسات أخرى مثل بنك البذور اللبناني والمركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة ICARDA.ويخبِر أبو سيفان **«أنشأنا شبكة من ٢٤ مزارعاً يُنتِجون البذور المتوارثة في مختلف المناطق اللبنانية وفقاً لمعايير محدّدة مثل غياب الكيميائيّات وكمّية دُنيا من البذور للتكاثر».** في العام ٢٠١٩ قرّرت Seed in a box أن توحّد قواها مع مجموعات أخرى من أجل إنشاء (الحركة الزراعية)AgriMovement. كانوا في أول الأمر يريدون إنشاء تعاونية في البدّاوي، لكنّهم لم يحصلوا على الترخيص الوزاريّ. ويتابع بشّار **«لهذا السبب قمنا بعملية دمج وقرّرنا أن نكون حركة لا جمعيّة».** وكما بذورنا جذورنا، قاموا هم أيضاً بتنظيم لقائين أو بالأحرى ندوتين زراعيتين عن موضوع الزراعة والسيادة الغذائية في ٢٠٢٠ وال٢٠٢١، SEAC Agriculture ١ و SEAC Agriculture ٢.

وفيما يتعلّق بالمبادرات الفرديّة، تقدّم تعاونية بتلون الشوفيّة مثالاً للتعاونيّة بين مزارعين أبناء بلدة واحدة. جمال حسن، مزارع بستاني ورئيس التعاونية الزراعية في بتلون، درس الزراعة العضوية في سويسرا، وهو ينشر هذه المعرفة من خلال دورات تدريبيّة.

شجّعَت التعاونية الأفراد على الزراعة عبر تزويد المزارعين من أعضائها بالأدوات بأسعار منخفضة. شيئاً فشيئاً، تمّ تقديم الأراضي غير المستعملة هبةً للتعاونية ليباشر الناس بالزراعة. في العام ٢٠٢٠، نظّموا يوماً مهرجانيّاً عن موضوع الزراعة العضوية كان الهدف منه تبيان الحلول المتاحة من أجل الإنتقال الى الزراعة المستدامة. في السنتين الأخيرتين، ونظراً للأزمة الإقتصادية التي عصفت بلبنان، كان الدعم المالي للتعاونية شحيحاً، لكنّها ما زالت تدعم مزارعي البتلون على قدر إمكانيّاتها.

وقد يحصل تعاون محلّي بين مختلف انواع الناشطين مثل المنظّمات غير الحكومية، والجمعيات، والمزارعين. بدأت «جبال» بالعمل على تطبيق استراتيجيات غذائية محليّة على صعيد الأقضية.

وانطلقَت التجربة من قضاء زغرتا،حيث تمّت دعوة المعنيين بالنظام الغذائي للمشاركة الجماعية حول استراتيجية خاصة بالقضاء المذكور. وشاركت في النشاط البلديات، واتحاد البلديات،والمنظّمات غيرالحكومية، كما المبادرات المحلية والمزارعين. يستند هذا النهج إلى مبدأ التعاون حيث تجتمع هذه الفعاليات لتحديد الأولويات وتوحيد الاستراتيجيات نحو خطة مشتركة للمنطقة.

يُعَدّ التعاون والتشبيك وإنشاء الحركات الزراعية خطوة أساسيّة يمكن أن تؤدّي إلى تغيير في السياسات المطبَّقة. تبيّن من خلال البحث أن الجهود في سبيل إحداث هذا التغيير لا تزال متواضعة. ويمكن ايعاز السبب في غياب العمل التأييديّ إلى أنّ مفاعيلَه في تاريخنا الحديث محدودة. يوضح إسماعيل الشيخ حسن من نحيي الأرض أنهم قد بذلوا جهوداً جبّارة في مبادرة «للمدينة»،ويرَون أنّ العمل التأييديّ وتغيير السياسات مخيّبان للآمال، **«فأصحاب النفوذ الذين يجب إقناعهم أو مواجهتهم فاسدين. كما إنّ المقابل الذي تحصل عليه لقاء كمّية الجهد الذي تبذله هو محبط في معظم الأحيان».** إنّهم يبحثون حاليًا عن قطعة أرض جديدة لنقل حديقتهم المجتمعية إليها،ولهذا السبب هم في صدد تنظيم نقاش حول الأراضي العامة والدفاع عن كونها ملكيّة للجميع. وهم يمارسون الضغوط أيضاًعلى بلدية صيدا والسلطات العامة الأخرى للترخيص لهم باستعمال الأراضي العامة في تحقيق مشروعهم. من خلال هذا الضغط، يحاولون الترويج لفكرة أنّ الأماكن العامة هي في غاية الأهمّية في المناطق المُدُنيّة، وأنّ الحدائق المجتمعية التي تمارس الزراعة البيئيّة هي إحدى أفضل الوسائل للحفاظ على هذه المساحات ولتشجيع السكّان على استعمالها\تملّكها..

ت. نماذج حوكمة بديلة

بينما تُظهرمعظم هذه الأمثلة جهودًا لبناء التعاون والتواصل على المستوى الماكرو (المستوى الإقليمي والوطني)،تبيّن لنا أنّ البعد الديمقراطي والتعاوني والتغييري للزراعة البيئية غالبًاما يَظهَر أيضاً على المستوى الضيّق\المحلي، لاسيما في مناهج الإدارة الداخلية لبعض هذه الجماعات. هذاهوالحال بشكل خاصةً مع اثنين من الناشطين الذين قابلناهم، بذورنا جذورنا ونحيي الأرض، ولكنهما حاضران أيضًا في روح العمل لدى ناشطين آخرين مثلSeeds،Soils in Box،وجبال.

أسلفنا أنّ منظّمة بذورنا جذورنا مُكونة من مجموعة مختلطة من المزارعين السوريين وعائلاتهم، ومزارعين وخبراء بيئيين فرنسيين، وبعض الخبراء البيئيين اللبنانيين. وبحسب حرفوش،إن أعضاء الجمعية يدركون ديناميكيات القوة التي تنتج عن هذا المزيج ويسعَون إلى **«مراعاة الخلفيات الاجتماعية والثقافية لكل مجموعة،وديناميكيات القوة داخل كل مجموعة. خاصة مع وجود الكثيرمن الأشخاص القادمين من خلفيات مختلفة».** ومع ذلك،تحاول المنظمة اتباع الأفقية في التعامل، **«إذا كنت تهتم ببيئتك ونظامك البيئي،فهذا يعني أنّك مُلزَم بالإهتمام بالأشخاص الذين يعتنون بهذا النظام، ومن هنا تنبع فكرة الأفقية. لايوجد رئيس،ولا سلطة واحدة تتخذ القرارات،القرارات للمجموعة، والأجور متساوية قدر الإمكان. نحن نتّبع هذا المنهاج، إنه صعب، لكنّنا على وشك بلوغ الأهداف».**

تصوير شارلوت جوبيرت

وفي سياق مختلف، تقوم نحيي الأرض بتطبيق نموذج آخر من التنظيم الديمقراطيّ. يقول الشيخ حسن **«لا يوجد عمّال في الأرض، بل مجموعة من الأفراد، وعلى كلّ مجموعة شخصُ مشرِف، ويتمّ تغييرهم في كلّ موسم، الأمر الذي يأتي بالأفكار الجديدة وبالمجموعات الجديدة أيضاً. الأمور سلسة، والعمل تطوّعي».**

تتبلور هذه الهيكلية الإدارية في القرارات التي تتّخذها نحيي الأرض، كما في الإشراف على العمل الجماعيّ **«لدينا يوم واحد من العمل الجماعيّ في الشهر، الجميع يأتي وينظّف ويساهم في الأرض».**

بعد توسُّع المجموعة، تغيّر نظام الإدارة. يقول الشيخ حسن **«كنّا ندعو الجميع الى الإجتماعات، لكن ما إن كبرنا حتى أوقفنا الإجتماعات العامّة، فقط يجتمع المُشرِفون وهم يبلّغون مجموعاتهم بالقرارات».**

إنّ الهدف من إختيار هذا النظام في إدارة نحيي الأرض لا يقتصر على تحقيق المزيد من الديمقراطية، بل من أجل الحفاظ على الإستقلال المالي **«إنّ العملية الإداريّة للمشروع غير مكلفة، مما يجعل المشروع أكثر حريّة، وأكثر خدمةً للمجتمع».**

ث. التدريبات، إنتاج المعرفة، والمشاركة

يُعَدّ إنتاج المعرفة بشأن الزراعة البيئية ونشرها واجهة أُخرى ذات أهمّية إذ تربط بين الناشطين في مجال الزراعة البيئية في لبنان. في العام ٢٠٢٠ نشرت بذورنا جذورنا كتاباً عنونته»نحو استقلاليّة الفلّاحين»، وقامَت ببيعه بكلفة الإنتاج من أجل **«أن يصل إلى أكبر عدد ممكن من الجمهور، وأن يرغبوا في قراءته»** ، كما يقول حرفوش. شاركوا في كتابهم معلومات عن ممارسات زراعيّة مختلفة من المحافظة على البذور، لإنتاج السماد العضويّ، لإنتاج الأسمدة العضوية (compost)، كما معلومات عن الطاقة المتجدّدة.

وابتكرَت Seed in a Box»دليل الزراعة المُستدامة» المتوافر عبر موقعها الإلكترونيّ، والذي يشرح أساسيات الزراعة البيئيّة من خلال صور ومشاهد مصوَّرة.

كما يوجد العديد من المراجع على الموقع الإلكترونيّ الخاص ب Soils Permaculture Association، إذ ينشرون الدورات التعليميّة، والكتيّبات، معتمدين سياسة المصادر المفتوحة لنشر معرفتهم قدر الإمكان.

وشارك سليم في تأليف العديد من الكتب، بما فيها برنامج تقنيّ عن كيفيّة تطبيق الزراعة الحرجيّة في لبنان.يتناول البرنامج بشكل خاص **«كيفيّة إستفادة المزارعين من أشجار أراضيهم، وكيفيّة استعمالها كحواجز للريح، وللتظليل، ولتثبيت النيتروجين، إلخ.».**

أما «جبال» فمنشوراتها أقرب الى البحث عن مواضيع معيّنة مثل وثيقة «المبادرات الغذائية البديلة في لبنان». وعلى الصعيد الجامعيّ، قام العديد من الباحثين بتركيز عملهم على السياسة البيئية والسياسات الغذائية ومواضيع أخرى. يمكننا تسمية الاستاذ في الجامعة الامريكية في بيروت رامي زريق والخبير في اقتصاد التنمية كنج حمادة، وقد حاورنا كلّاً منهما في إطار هذا البحث. ويوجد العديد من الباحثين في لبنان يعملون على مواضيع ترتبط بالغذاء.

وفيما يتعلّق بنشر المعرفة، تتّخذ العملية أشكالاً عديدة. فبالإضافة الى المنشورات، يتمّ نقل المعرفة من خلال التعليم والتدريب. وتنظّم Soils Permaculture Association تدريبات للجماعات المحلّية على إنتاج البذور المتوارثة والمحافظة عليها، وعلى انتاج السماد العضويّ، وتربية النحل، وممارسات الزراعة البيئية، والزراعة المُستدامة.تحاول الجمعية بذل جهود إضافية فيما يُسمّونه «المزارعين الرئيسيين» أو بعبارة أخرى،المَزارع النموذجية في الزراعة البيئية التي تُحدِثُ تأثيراً قويّاً في المزارعين في محيطها. تشرح داغر الأسباب الكامنة وراء هذا الاسلوب **«لا يمكننا العمل مع العديد من المزارعين على هذه الأمور، فهذا يحتاج الى متابعة. عادةً ما نعمل مع مزارع او اثنين في بلدة او منطقة واحدة، ونعمل معهم على مدى عامٍ كامل. وهذا يؤدي إلى أنّه، مع مرور الوقت، يتغيّر العديد من مزارعي المنطقة».**

تستعمل «جبال» الأسلوب نفسه. فبعد أن نظّمت طيلة عامين متتاليين دورات تدريبيّة للمزارعين من أجل دعمهم في عملية انتقالهم الى الزراعة المستدامة، قامت بصبّ المزيد من الإهتمام حول بعض المزارعين، الذين يصبحون مرجعاً لمَزارع الزراعة البيئية في المنطقة.

توفّر بذورنا جذورنا ايضاً تدريبات دوريّة لمجموعات مختلفة، معظمها من العائلات السوريّة ذات الدخل المحدود. في العام ٢٠٢٢ أطلقوا دورات تدريبيّة للمزارعين في شبكة البذور المتوارثة، كما تدريب أربع مبادرات كلّ على حدة على إنتاج مستلزمات مُستدامة.

بالمثل، تنظّم Seed in a Box تدريبات على نطاق واسع للمزارعين وللزارعين غير المحترفين، وذلك في مواضيع حفظ البذور والممارسات الزراعية المستدامة.

ويقوم الخبراء خالد سليم وفارس زيدان بنشر ممارسات الزراعة البيئية أيضاً من خلال التدريبات التي يقدّمونها للمزارعين. فقد دعم سليم، وهو مدرّب مُعتمَد منذ سنوات، العديد من المزارعين في انتقالهم، والأمر نفسه بالنسبة لزيدان الذي تَشارك بمعلوماته وممارساته مع العديد من المزارعين في منطقته معاصر الشوف.

وفيما يتعلّق بوزارة البيئة، فإنّ نشاطاتها تشمل تدريب المزارعين على التصدّي للحشرات. ويغيب التركيز عن موضوع الزراعة البيئية[٦]. بالنسبة للفاو (منظمة الغذاء والزراعة)، فهم يقدّمون العديد من التدريبات وبناء المهارات للمزارعين، ويروّجون بصورة اساسيّة للزراعة الحرشيّة، والزراعة الرعوية، وإدارة مستجمعات المياه والحلول القائمة على الطبيعة، وجميعها يندرج تحت موضوع الزراعة البيئية.

ختاماً يقوم المركز الدوليّ للبحوث الزراعية في المناطق الجافّة ICARDA بالترويج للزراعة المُحافظة على الموارد التي تحدّ من المستلزمات الكيميائية المُستعملة في زراعة المحاصيل، كما تشجّع إيكاردا أيضًا الزراعة بدون حراثة للحفاظ على رطوبة التربة. إلاّ أنّهم يعملون على هذا النوع من الزراعة في العراق وسوريا، لا في لبنان.

٦- مقابلة مع روزين حبشي من وزارة الزراعة ، آب ٢٠٢٢، الاستراتيجية الوطنية للزراعة ٢٠٢٠-٢٠٢٥

ج. التسويق والبيع

يُعتبَر التسويق الغذائي قاسماً مشتركاً يعمل عليه بعض الناشطين في مجال الزراعة البيئية. نعم إنّ التركيز على مشاركة المعرفة، التدريبات، والتزويد بالمستلزمات هي أمور أساسيّة من أجل نشر الزراعة البيئية، لكنْ، إذا لم يكن أمام المزارعين أسواق بديلة لبيع منتجاتهم سيضطرّون إلى الإعتماد على أسواق الجملة.

وهذا الأمر يقلّص من وقتهم في الزراعة. إنّ تزويد المزارعين باستراتيجيات بيع بديلة مثل البيع المباشر، أو من خلال عدد أقلّ من الوسطاء، قد يجعلهم يستفيدون من تبادلات أكثر انصافاً، ما يسمح لهم بالإنتقال الى الزراعة المستدامة بثقة أكبر.

نظّمت نحيي الأرض في صيدا سوقاً أسبوعياً يحظى منتجو المواد المُستدامة في المنطقة (صيدا وجزّين) خلاله بفرصة بيع منتجاتهم مباشرةً إلى المستهلكين. ويضمّ السوق نشاطات أخرى مثل تبادل الكتب، مقايضة البذور، الطبخ المحليّ، وغيرها.

وعملَت «جبال» أيضاً في مشاريعها على الجانب التسويقيّ للنظام الغذائيّ، إذ تمّ في عام ٢٠٢٢ إطلاق سوق أسبوعيّ للمزارعين يُدعى «سوق الموسم» مع المزارعين الذين تابعوا الدورات التدريبية على الممارسات الزراعية المستدامة على مدى عامَين. وتمّ تطوير أسواق أخرى مؤخراً في لبنان كما السوق الذي أطلقَته محميّة الشوف الحيوية في البلدات المحيطة بها، سوق المزارعين في بدارو الذي تديره جماعياً مجموعة من المنتجين-من بينهم بذورنا جذورنا- ومن المستهلكين من أهل الجوار. وأخيراً سوق الطيّب الذي يفتح مرّتين في الأسبوع في منطقة الجمّيزة في بيروت.

تصوير شارلوت جوبيرت

VI. أفكار وتوصيات حول كيفية رفع مستوى الزراعة البيئية في لبنان

تصوير شارلوت حوليرك

نماذج ملهمة:
المزيد من المزارعين
حول الزراعة الإيكولوجية

نماذج ملهمة
على مستوى البلدية

الحفاظ على الموارد الطبيعية:
المياه والتربة

الصلاحية المالية
والوصول العادل إلى السوق

الحوكمة التشاركية

إنشاء حركة
من المزارعين

الاستراتيجيات الإقليمية
والتعاون بين الجهات الفاعلة

تصوير شارلوت جوبيرت

إنّ المَزارع العائلية الصغيرة هي مَزارع الإنتاج الأكثر شيوعًا في لبنان، لكنها أضعف العناصر في سلسلة القيمة. ففي غياب أدنى سياسة دعم، يُلزَم هؤلاء المزارعون بالخضوع لشروط التجّار ولتحمّل سياسات الهيمنة والإحتكار. تمّ إنشاء العديد من المبادرات في جميع أنحاء البلاد، تتمحور جميعها حول الزراعة البيئية كما جرى عرضه في البحث الراهن. وللتذكير بالغرض الأساسي للدراسة،نعيد النظر في السؤال التالي: كيف ننتقل في لبنان من مبادرات بيئية زراعية مشتّتة ومتفرّقة إلى مبادرات أكثر وقعاً في نظامنا الغذائي المحلي؟

نماذج ملهمة:
المزيد من المزارعين
حول الزراعة الإيكولوجية

عبّر العديد من النشطاء عن أنّ رفع مستوى الزراعة البيئية يحتاج إلى وجود النماذج والإلهام. سنعرض نبذة عن هذه المشاركات. يرى خالد سليم أنّه **«يجب أن نسعى إلى امتلاك المزيد من المزارع النموذجية، مثل مزرعة بذورونا جذورنا،حتى يتمكّن المزارعون من زيارتها ورؤية نجاحها».** بالفعل، لقد تبنّى العديد من الناشطين هذا النهج. يعرضون قصص النجاح على أمل أن يميل البعض إلى تغيير ممارساتهم. لكنّ الوصول الى هذا الهدف يتطلب متابعة وثيقة وحثيثة **«يجب أن ندعم عدداً قليلاً من المزارعين، إنّما بشكل مكثّف ولوقتٍ طويل، وذلك حتى ينجحوا حقاً».** تقول أماني داغر من جمعيةSoils Permaculture Association أنّ التعلّم من الأقران هو في صلب نهج المَزارع النموذجية. إنّ تلقّي المزارعين المعرفة من أقرانهم أكثر وقعاً وتأثيراً من تلقّيها من مدربين خبراء لا يمارسون الزراعة بصورة يوميّة. يقول سيرج حرفوش من جذورنا بذورنا إنه لذلك **«يجب أن نركز على المزارعين الرئيسيين الذين يستمع إليهم الآخرون»،** مضيفًا أن هؤلاء قد يكونون من كبار مالكي الأراضي المستعدّين للاستثمار في الزراعة البيئية. وقد نجح مشروع نحيي الأرض، من نواحٍ عدّة، في إثبات إمكانية تحويل أرض مُدُنيّة إلى مشروع جماعي بيئي زراعي. وأوضح الشيخ حسن **«يوجد العديد من التنوّع في الأراضي في جميع المدن اللبنانية والباب مفتوح للزراعة المُدُنيّة، باستثناء بيروت بعض الشيء».**

حتى لو كان دعم الزراعة البيئية من خلال تدريب المزارعين الرئيسيين نهجاً جديراً إلاّ أنّه يجب ألا ننسى أنّ كلّ نطاق، ومزرعة، ومُزارع مختلف عن الآخر. وحتى لو أنّ نوع الزراعة المُمارَسة في خمسينيّات القرن المنصرم قد ركّزت المعرفة في أيدي الشركات والجامعات، يجب أن يبقى المزارع وحده محور مناهج الزراعة البيئية. فالتجانس قد يُحبط عملية توسيع الزراعة البيئية[٦١].

٦١- ميغيل ألتيري وآخرون، «مقدمة»، في أرض خصبة، تحجيم الزراعة البيئية من الأرض، طبعة ستيف بريشيا (كندا، ٢٠١٧)، الصفحة ١٣.

الصلاحية المالية والوصول العادل إلى السوق

إلى جانب ذلك، لا يكفي العمل الحثيث مع المُزارع على تقنيات الزراعة البيئية إذا كان التمويل غائباً. يذكّرنا حمادة بأنّه **«في الواقع، يتأثّرا لمُزارع بما يلي: المجتمع الزراعيّ، السياسات والأسواق»**. إنّ النظام التجاري مجحف في حقّ المزارعين بسبب حصول الوسطاء على النسبة الأكبر من الأرباح، إلاّ أنّ البدائل متوافرة. والبديل بالنسبة لخالد سليم هو الزراعة المدعومة من الجماعة والتي تخلق نظامًا تضامنيًا بين المزارعين والمستهلكين.

هنا، يتعيّن على المستهلك أن يرضى بالمشاركة في مخاطر الإنتاج الزراعي (مخاطرالمناخ،مخاطرتغيرالأسعار، إلخ). تُعَدّ أسواق المزارعين، حيث يبيع المُنتجون مباشرة إلى المستهلكين النهائيين، أيضاً خَياراً جديراً، لكنّ **«يجب ألا تقتصر على بيروت فقط»**، كما علّقت أماني داغر. وتضيف أنه على الرغم من أهمية هذا الخيار،يجب ألا نركّز فقط على التسويق،إنّما يقتضي دعم التنويع في مصادر دخل المزارعين والحدّ من تكاليف الإنتاج. ومن شأن ذلك أن يشمل **«ليس فقط الخضروات، بل أيضًا الأشجار والحيوانات. هكذا تكون المواسم عديدة ويتمكّن المزارع من العمل طيلة العام. إذا إختلّ شيءُ ما، عوّض عنه شيئاً أخراً»**.

تصوير شارلوت جوبيرت

الحفاظ على الموارد الطبيعية:
المياه والتربة

كما يجب التركيز على البنية التحتية والحفاظ على الموارد الطبيعية، وهي حاجة أساسية لممارسة الزراعة المستدامة. إذا لم يحصل المزارعون على المياه النظيفة في أراضيهم، ولم تكن نوعية التربة التي يزرعونها جيّدة، فلن تكون الزراعة المستدامة حلاً كافياً. يتطرّق حرفوش إلى مسألة الحصول على الموارد، فيقول **«تذهب كمّيات كبيرة من المياه هدراً، فيما تبقى العديد من الأراضي، في الوقت عينه، من دون مياه»**. ويقترح **«إعادة تشجير الجبال، وتدفيق المياه،وإصلاح التربة»**، باعتبارها ترميمات بيئية واسعة من شأنها أن تدعم الزراعة المستدامة. ترتبط صحة المياه والتربة ارتباطًا جوهريًا بكيفية إدارة النظم البيئية حول الأراضي المزروعة، وما إذا كانت هناك بنية تحتية وصيانة مناسبة.

تصوير شارلوت جوبيرت

نماذج ملهمة
على مستوى البلدية

نطاق العمل الداعم للزراعة البيئية يُثبت أيضًا أهميته. فزريق يقترح أن يتم العمل على مستوى البلديات. ويقترح **«اختيار بلدية صغيرة جداً أو محاولة العمل في جميع أنحاء البلدية وجعلها نموذجًا. العمل على إدارة النفايات والطاقة والغذاء والتخطيط المُدُنيّ وإنتاج الغذاء»**. ويشير إلى أنه من الأفضل اختيار مركز يحظى بمجلس بلدي مهتمّ بالتعاون على هذا المشروع. يذكر حرفوش حالة أخرى مؤاتية تتعلق بهذا النهج **«ابدأ في المناطق التي يكون فيها الناس أكثرعطفاً على الطبيعة،حتى لو كانوا يمارسون الزراعة التقليدية ... يعطفون على الطبيعة لدرجة أنّهم يدركون أنّهم جزء من هذا الكل»**. فقد يكون المكان على سبيل المثال قرى قريبة من محمية طبيعية، أو مكاناً تحصل فيه أنشطة اقتصادية مرتبطة بالطبيعة مثل السياحة. ويمكن أيضاً، وفقاً لما أشاره، اختيار البلدة التي يوجد فيها أصلاً أسواق محليّة.

تصوير شارلوت جوبيرت

الاستراتيجيات الإقليمية والتعاون بين الجهات الفاعلة

إنّ العمل على مستوى قرية أو بلدة لبناء نماذج غذائية زراعية يقضي بإشراك السكّان المحليين، والمزارعين، وغيرهم من ذوي المصلحة، في عملية جماعية شفافة لاتّخاذ القرارات «وفقاً لمبادئ الزراعة البيئية»، كما تقول داغر. وفي سياق موازٍ يمكن العمل على مستوى مناطقيّ (مثلاً في الأقضية) في مسعىً لتنسيق الجهود **«يجب تطبيق الخطط المناطقية لسيادة الغذاء على مختلف المناطق في البلاد»**، كما يشرح أبو سيفان. قد تلعب الاستراتيجيات المناطقية دوراً في تحديد النظام الغذائي في لبنان، وجعله أكثرَ استدامة.

إذا احترمت المناطق اللبنانية زراعة الأرض بحسب الموسم، سيكون الإنتاج متنوّعاً، وتكون الممارسات ملائِمة للبيئة، وسيحظى النظام الغذائيّ المحليّ بتشبيك أفضل.مع أنّ التنسيق المناطقيّ نافع، ولكن التنسيق الوطني يلعب دوراً أكبر في النظام الغذائيّ. يقع على عاتق السلطات العامة مسؤولية تحديد الحاجات الأساسيّة، ودعم منتجي الأغذية الأساسيين في البلاد، أي صغار المزارعين الأُسَريين.

وفيما تسعى العديد من المبادرات إلى حلّ مشاكل النظام الغذائي المحليّ، نجد أن يجب فعله حقاً هو العمل على مستوى الهيكليّة. يقول حمادة **«إنّ رفع مستوى بدائل الإنتاج لا يحصل (...) إلاّ إذا وُجِدَت مؤسسات تدعمه من الناحية السياسية».**

تركّز الاستراتيجية الوطنية للزراعة (٢٠٢٠-٢٠٢٥) التي وضعتها وزارة الزراعة بشكل أكبرعلى الجوانب المتعلقة بالاستدامة، غير أنّ هذا الأمر غير كافٍ. مع أنّها تستهدف الممارسات الزراعية الغذائية مثل تقليص استعمال المبيدات، فهي لا تضع استراتيجية خاصة بالسيادة الغذائية على المدى الأبعد.

ينبغي أيضاً النظر في الإصلاحات والتنظيمات الأخرى،مثل إصدار قانون خاص بالمزارعين،وتنظيم نظام البيع بالجملة، وإنشاء نظام دعم أكثر كفاءة لصغار المزارعين، وإصلاح القانون التعاوني. ويجب أن يشارك في التغيير المواطنون والمزارعون والباحثون المستقلّون.

إنشاء حركة
من المزارعين

غير أنّ الشفافية والحوكمة الجيّدة لا تكفيان فإنّ التحوّل الى الزراعة البيئية كممارسة زراعية وكحركة مجتمعيّة تعني أيضاً التحوّل السياسيّ. والأمر يتضمّن تناول أهداف العدالة الاجتماعية التحررية طبقيا وجندريا وبيئيا. وهذا يتطلب بناء حركة تشمل الأشخاص المتضرّرين من النظام الغذائي غيرالعادل وإيصال أصواتهم ومطالبهم بشكل جماعي، مع وضع آليات تُكسِبهم قوة الدفاع والمفاوضة.

بالنسبة إلى حمادة **«إذا أخذت مثال الزراعة العضوية: فقد بدأت كحركة ذات ممارسة وخطاب. وتوحّدت هذه الممارسات والخطاب حول الحركة. هذه هي الخطوة الأولى.»** تتعلّق الممارسات بتقنيات وأساليب جديدة للزراعة،في حين أنّ الخطاب يتعلق بالحاجة إلى الحفاظ على البيئة وصحةالناس،مع الإضاءة على ديناميات القوة في قطاع الأغذية. هكذا تقترن الحلول العملية بالخطاب السياسيّ. إنّ حركة كهذه يمكنها أن تجذب العديد من الجهات الناشطة ليعملوا معاً على موضوع الزراعة البيئية، ويقرّروا الأولويات والخطوات المشتركة». يشدّد حمادة على قوّة حركة كهذه **«يأتي الداعم من الخارج بمفهوم محدّد، ويلقيه هنا..مثلا الزراعة المستدامة ... دون وجود حركة محلية. هذه [الحركة] يجب أن تُبنى من الصفر»**.

يمكن في رأيه أن تتخذ الحركة أشكالاًمختلفة لا تعقيدات فيها. يقول **على سبيل المثال،يمكن أن تكون جمعية عامة تجتمع كل عام،وتناقش تغيّر المناخ،والمبيدات الحشريّة، والسياسات، وما إلى ذلك، وتقوم بوضع الخطاب المناسب والممارسات السياسية.»** ويتابع محذّرا من أن الحركة **«يجب أن تعطي مساحة للممارسين: الفلاحين. ينبغي ألّا تكون حركة مرتبطة بالمنظمات غيرالحكومية فحسب، بل أن تكون حركة خاصة بالمزارعين»**.

تصوير جيني جوستافسون

تصوير جيني جوستافسون

الحوكمة التشاركية

على الرغم من أنّ الجهات الناشطة الأساسية في ترويج الزراعة البيئية في لبنان حالياً هي المنظّمات غير الحكومية والداعمون الخارجيّون، إلاّ أنّ العديد ممّن قابلناهم حذّروا من مخاطر هذا الواقع. وقد سلّط الشيخ حسن من نحيي الأرض الضوء على مخاطر نظام التمويل الذي تعتمد عليه المنظّمات غير الحكومية **«بات الجميع ينجذب للزراعة البيئية في لبنان، وتتنافس المنظمات غير الحكومية للحصول على الهبات المالية.مَن يتقنون الوصول الى هذه الهبات وكتابة الإقتراحات يصلون الى هذه الموارد».**

إنّ التدخّل المبني على تحقيق المصلحة يُحبط روحيّة التعاون والإستدامة، إذ ينفّذ كلّ فريق مشروعه دونما النظر الى كيفيّة تكامل مشروعه مع خطوات الباقين. إنّ التنسيق القائم على التمويل والأفعال يجب أن يُدار من السلطات العامة، فتلك المؤسسات معنيّة بتحقيق المصلحة العامة. وإن حصل هذا التنسيق، فبموازاة حركة خاصة بالمزارعين. تحدّد الحركة أولوياتها، وتطالب بالتغييرات اللازمة، ويجب أن تضع أيضاً جميع الآليات الممكنة لتشجيع المعارضة وإيصال صوتها إلى السلطات لتنفيذ السياسات المطلوبة.

يشرح حمادة أنه في غياب شبه تام للحكومة يقوم الداعمون الدوليون\الخارجيون بتقديم الدعم اللازم في مشاريع الزراعة المستدامة **«عندما يقدمون المال على سبيل المثال لبذورنا جذورنا، فإنهم يقرّون بأنّ نهج الجماعة ذو جدوى من حيث السياسات، والتنمية والإفادة الجماعية».** أحدهؤلاء المانحين والناشطين الرئيسيين هو منظمة الأغذية والزراعة (الفاو)، التي تدعم بشكل مباشر وزارة الزراعة. يشرح فادي أسمر من منظمة الأغذية والزراعة سبب عدم دعمهم للمبادرات الزراعية البيئية في لبنان **«إذا لم تطلب الوزارة ذلك،فلا يمكننا فرضه عليها.يمكننا أحياناً تقديم الإقتراحات. إذا طلبت الحكومة القيام بشيء ما بشأن الحشرات على سبيل المثال، ورأينا أنّ الحلّ الأفضل يكون باستعمال الزراعة البيئية كأداة،حينئذٍ يمكن الترويج له».** أنشأت منظمة الأغذية والزراعة على موقعها الإلكتروني قسمًا يسمى مركز المعرفة في الزراعة البيئية. يجمع القسم العديد من الموارد والتعاريف والمنشورات حول الزراعة البيئية. في عام ٢٠١٨ أطلقت المنظمة «توسيع مبادرة الزراعة البيئية». من أهدافها مساعدة البلدان على تطوير الزراعة البيئية. غير أنّ الأمر لم يحصل في لبنان بعد[٦٢].

٦٢- منظّمة الأغذية والزراعة. توسيع نطاق الزراعة البيئية. https://www.fao.org/agroecology/overview/scaling-up-agroecology-initiative/en/ (تمّت الزيارة في ١٥ سبتمبر)

تصوير شارلوت جوبيرت

تعمل هذه التوصيات المختلفة التي يشاركها الناشطون على مستويات مختلفة، تتراوح من الإعتصام حتى وضع السياسات. يجمع كتاب الأرض الخصبة، تطوير الزراعة البيئية من الصفر[٦٣] Fertile Ground, Scaling agroecology from the ground، العديد من الخبرات والدروس من ناشطين معنيين في وضع وتنظيم البدائل الزراعية البيئية في سياقات مختلفة. لقد عرضوا ضمن خطة تعزيز الزراعة البيئية ثلاثة محاور:

١) العمق - هنا يستطيع المزارعون الابتكار المستمرّ في أراضيهم، والانتقال من استخدام تقنيات بيئية زراعية محدودة، إلى نظام زراعي أكثر شمولية.

٢) الأفقية - حيث تنتشرالزراعة البيئية أفقياً بين مختلف المجتمعات الزراعية؛

٣) العامودية - حيث يتم دعم الشبكات والحركات، وربط المزارعين بالأسواق المحلية،ووضع سياسات داعمة.

أظهرهذا التقريرأنّ الجهات الناشطة تطبّق هذه المستويات الثلاثة بأساليب مختلفة. على البحث اللاحق أن يوسّع النطاق عن طريق التطرّق إلى مبادرات وناشطين لم يتطرّق إليها البحث الراهن، الأمر الذي يسمح بالمقارنة بين تلك المشاريع والمناهج المتنوّعة. لقد أثبتت مختلف هذه المبادرات، خلال محاولات تحوّلها عن الصناعة الزراعية التقليدية، أنّ تطوير الزراعة البيئية ليس بعملية جامدة، بل يحث المزارعين على الإبتكار المستمرّ كما يحثّ الجماعات على (إعادة)تَنسيق علاقتهم بالطبيعة والإنتاج.

٦٣- ميغيل ألتيري وآخرون ، «مقدمة» ، في أرض خصبة ، تحجيم الزراعة البيئية من الأرض ، طبعة ستيف بريشيا (كندا ، ٢٠١٧) ، الصفحة ١٣.

تصوير جيني جوستافسون

٧. المراجع

عدن أو-حسن وآخرون. تحليل سلسلة القيمة في سهل البقاع،لبنان: «البطاطس والطماطم ومنتجات الألبان والأجبان». ٢٠١٨. ميلسبيس. https://repo. mel.cgiar.org/handle/١١٧٦٦,٥٠٠,٢٠/٦٠٣٦٠.

Afrika Kontakt و.La Via Campesina الزراعة البيئية الفلاحية تحقق العدالة المناخية، نشرة تمهيد ية

https://viacampesina.org/en/wp-content/uploads/sites/٢/٢٠١٨/٠٥/primer_english_print.pdf.

أنياسيزادلو. حديقة تنمو وسط الأخطارااليومية للحصار في سوريا. الجزيرة أمريكا. ٢٠١٥. http://america.aljazeera.com/articles/٢٠١٥/٥/١٨/a-garden-grows-amid-a-siege-in-syria.html

Arantxa Guerena و Marc Wegerif . وثيقة عن الزراعة غيرالمتكافئة للأراضي. مبادرة ILC لبحوث عدم المساواة في الأراضي. ٢٠١٩. https://d٣٥٣cb٤w٢٥٣x٥q.cloudfront.net/media/documents/report_land__٨_٢٠١٩/inequality_framing_document_web_single_page.pdf

مجموعةETC،»من سيطعمنا؟ أسئلة عن أزمات الغذاء والمناخ. «،الطبعةالأولى. البيانرقم ١٠٢. ٢٠٠٩.

منظمة الأغذية والزراعة- معالجة تحديات الأمنا لغذائي في لبنان: نهج يربط بين المياه والطاقة والغذاء والصحة. الفاو. ٢٠٢١. https://www.fao.org/publications/card/en/c/CB٤٢٠٣EN/.

منظمة الأغذية والزراعة، مركزالمعرفة في الزراعة البيئية. ماهي الزراعة البيئية؟ (تمّت الزيارةف ي ١١ نوفمبر / تشرين الثاني ٢٠٢٢).

منظمة الأغذية والزراعة واليونيسيف. عمالة الأطفال في الزراعة: من جانب الطلب. لبنان. ٢٠١٩. https://www.unicef.org/lebanon/media/١٦٥٦/file/_ChildLabour_FAO&UNICEF_٢٠١٩.pdf.

منظمة الأغذية والزراعة والاتحاد الأوروبي ومركز التعاون الدولي للبحوث الزراعية من أجل التنمية. نبذة عن النظم الغذائية - لبنان. تحفيز التحول المستدام والشامل للنظم الغذائية. روما وبروكسل ومونبلييه، فرنسا. ٢٠٢٢. https://doi.org/١٠,٤٠٦٠/cb٩٥٤٣en.

منظمة الأغذية والزراعة ، الزراعة العائلية الصغرى في الشرق الأوسط وشمالي أفريقيا، بلد التركيز: لبنان. المركز الدولي للدراسات الزراعية المتقدّمة لمنطقة الشرق الأوسط. ٢٠١٧. https://www.fao.org/٣/i٦٦٠٨f/i٦٦٠٨f.pdf.

منظمة الأغذية والزراعة. حالةالغذاءوالزراعة: تغييرالمناخ والزراعة والأمن الغذائي. منظمة الأغذية والزراعة. ٢٠١٦.

https://www.fao.org/documents/card/en/c/٠٦٥٨٥٣bcc٣٧-٠-٤٩٧e-a٣bb-b١٧٧-٦d٥e-d١٤/.

منظمة الأغذية والزراعة ، تطوير الزراعة البيئية.

https://www.fao.org/agroecology/overview/scaling-up-agroecology-initiative/en/.

منظمة الأغذية والزراعة ، إحصاءات منظّمة الأغذية والزراعة

FAO. FAOSTAT:http://www.fao.org/faostat/en/#data

لتقييم الدولي للمعرفة والعلوم والتكنولوجيا الزراعية من أجل التنميةIAASTD . نحو زراعة متعدّدة الوظائف من أجل استدامة إجتماعية، بيئية، وإقتصادية، ٢٠٠٨.

منظّمة العمل الدولية. منظّمة الغذاء والزراعة. تطوير المهارات لنموّ شامل في قطاع العمالة الزراعية في لبنان. -نبذة عن التنظيم.٢٠٢٠.

cbr٤٥٧en/١٠,٤٠٦٠/https://doi.org.

منظّمة العمل الدولية، القطاع التعاونيّ في لبنان، منظّمة العمل الدولية، ٢٠١٨.

groups/ /https://www.ilo.org/wcmspo
public/---arabstates/---ro-beirut/
pdf.٦٤٤٧٢٤_documents/publication/wcms

جبال، البحث عن مبادرات غذائية بديلة في لبنان، ٢٠٢١،

https://www.jibal.org/wp-content/
FOOD-INITIATIVES-/١٢/٢٠٢١/uploads
.REPORT.pdf

قيس فرّو. «الحرير والتغييرات الزراعية في لبنان، ١٨٦٠-١٩١٤». ال. « المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط ٢٢، رقم ٢(١٩٩٠): ١٥١-٦٩https://doi.
org/١٠,١٠١٦/j.worlddev.٢٠١٥,١١,٠٢١.

كنج حمادة وآخرون. من جهة وأخرى من الحدود اللبنانية-السورية: تحوّلات نهر العاصي الزراعية. مجلة Confluences Méditerranée. ٢٠١٥

كنج حمادة. الزراعة في لبنان: ديناميكيات الإنقباض في غياب التطلّعات السياسية والتنظيمية.شبكة المنظمات العربية غير الحكومية للتنمية.

٢٠١٩.

كنج حمادة. تحويل الرابط التاريخيّ بين السياسة الزراعية وانعدام المساواة في لبنان.

فيبانفيلد،ج.،وستاماديانو،ف. (محرران). نحو اقتصاد سلمي في لبنان. تنبيهدولي: لندن. ٢٠١٥.

كوجو أمانور وسيرجيو تشيتشافا. التعاون بين دول الجنوب،التجارة الزراعية،والتنمية الزراعية الأفريقية: البرازيل والصين في غانا والموزمبيق. العلوم المباشرة. ٢٠١٦.https://doi.org/١٠,١٠١٦/j.
worlddev.٢٠١٥,١١,٠٢١.

لا فيا كامبيسينا. ما هي السيادة الغذائية. ٢٠٠٣.

لين جبر. الزبائنية وتدمير الأنظمة المائية القديمة في صيدا. جدليّة. ٢٠٢٠.

https://www.jadaliyya.com/Details/٤٠٣٩٦

ماركرويجس. تحليل سلسلة القيمة للخضروات (الدفيئة) في لبنان. مجلة Wageningen الاقتصادية للبحوث. ٢٠١٧. https://edepot.wur.
nl/٤٢٥٩٢٤.

وزارة الزراعة. الاستراتيجية الوطنية للزراعة في لبنان - الاستراتيجية الوطنية للزراعة ٢٠٢٠-٢٠٢٥. ٢٠٢٠. http://www.agriculture.gov.lb/
getattachment/Ministry/Ministry-Strategy/
strategy-٢٠٢٠-٢٠٢٥/NAS-web-Eng-٢٠٢٠Sep٧.
pdf?lang=ar-LB

ناتالي علّام، الزراعة مقامرة: بحث في تدهور الإنتاج الزراعي في سهل البقاع اللبناني. أطروحة دكتوراه. جامعة جورج واشنطن. ٢٠١١

نور تركماني، وكنج حمادة. ديناميكيات النازحين السوريين في القطاع الزراعي اللبناني. Open Data Lebanon. ٢٠٢٠. https://www.opendatalebanon.org/wp-content/uploads/٢٠٢١/١١/٢٠١٥٠٢٠٢٠_
dynamics_of_syrian_refugees_in_
lebanon_agriculture_sector.pdf.

بيار بلان. السياسة الجغرافية للديناميكيات الزراعية. هيروديت. ٢٠١٥.

-٢٠١٥-https://www.cairn.info/revue-herodote
htm.٩-page-١

كتلة الوفاء للمقاومة تقترح إلغاء نظام الأراضي الأميرية .. Public Works Studio٢٠٢١

١٠٦/https://publicworksstudio.com/en/node

راج باتيل- الضيف المحرّر-«السيادة الغذائية»، مجلة الدراسات الفلاحية، ٣٦ :٣، ٢٠٠٩.

رولان رياشي. الزراعة والغذاء في إطار النظام المائي اللبناني. مجلة Open Edition Journals>٢٠١٢.
.٦٤٧٠.mediterranee/١٠,٤٠٠٠/doi:https://doi.org

SC-IRC. المفوضية العليا للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين. تقييم سبل عيش النازحين السوريين في لبنان. بوابةا لبيانات التشغيلية للمفوضية. ٢٠١٢.

https://data.unhcr.org/es/documents/
.٣٦٥٦٤/details

سالم درويش. أهداف إعادة التحويل الريفي في البقاع (لبنان) ،السياساتا لعامة والثقافات غيرالمشروعة.

https://horizon.documentation.ird.fr/exl-
pdf.٠١٠٠٣٦٩٣٨/٠٧-doc/pleins_textes/diversI٠

سيلفا وآخرون. النسويات البيئية والزراعة البيئية: اعادة تعريف العلاقات الاجتماعية والبيئية. بوابة البحث. ٣,٢٠٢٢

ستيفان غيوتييه ورولان رياشي،La Gestion de ‹إدارة›eau au Liban: une réforme confisquée المياه في لبنان: ثورة مُصادَرة؟المجلات المفتوحة الإصدار. ٢٠١٣.

تيمبينتون وآخرون. تأثير النظام الغذائي على فقدان التنوع البيولوجي. تشاثام هاوس. ٢٠٢١.

المفوضية العلية اللأمم المتحدة لشؤون اللاجئين،واليونيسيف،وبرنامج الأغذية العالمي. تقييم أوجه الضعف للنازحين السوريين في لبنان. برنامج الأغذية العالمي. ٢٠١٨.

https://www.wfp.org/publications/
vulnerability-assessment-syrian-refugees-
٢٠١٨-lebanon-vasyr

HEINRICH BÖLL STIFTUNG
بيروت
الشرق الأوسط

تم انتاج هذا الكتاب (المطبوعة) بالتعاون مع مؤسسة هينرش بُل - مكتب الشرق الأوسط. الآراء الواردة هنا تعبر عن رأي المؤلف (المؤلفين) وبالتالي لا تعكس بالضرورة وجهة نظر المؤسسة.